

عالمية



روايات

BROWN ON
RESOLUTION

الجندي المجهول



الْجَنْدَرِيُّ عَلَى الْمَجْمُوعِ

الفصل الأول

استلقى البحار الاول البرت براون على جزيرة رزليوشن وهو يعاني من سكرات الموت .. كان مكوما بين بعض الصخور البركانية الداكنة ، التي تتشكل منها الى حد كبير تلك الجزيرة المنعزلة ، وقد رفع ركبتيه قليلا وراح يهذى من الحمى ، فكان يتمتم احيانا ببعض كلمات مبهمه ثم يستدير الى جنبه في ضعف ، غير أنه ما تمر ثانية حتى يسقط على ظهره مرة اخرى .. وكانت على جسده بقايا من سترة كانت ذات يوم سترة بحار ناصعة البياض ، لكنها لم تعد الآن سوى أسمال رثة بالية لا يمكن التعرف على أصلها . أما وجهه فكان متورما ومشوها ، وكذلك كانت يداه اللتان غطتهما الأورام البشعة التي سببتها له لدغات آلاف الحشرات السامة . وقد راحت الآلاف من تلك الحشرات الفتاكة تحلق فوق جسده وهو مستلق خلف إحدى الصخور التي ألهمتها حرارة الشمس ، فكاد يختفى عن الأنظار .. أما قدماه فكانتا أيضا متورمتين وقد انتشرت فيهما الجروح البشعة رغم ما كان يعلق بهما من بقايا حذاء قديم ، فبدت وكأنها جروح ملتهبة في جسد حصان وليس في أقدام بشرية . وكان منظرها الشنيع شيء الشفقة حتى في أقسى القلوب البشرية على وجه الأرض .

ومع هذا فان أية محاولة استكشاف عابرة لجسد البرت براون ستكون كافية لإظهار أنه لم يكن يموت بسبب تلك الحشرات السامة اللاذنة ، ولا حتى بسبب حالة قدميه البشعة ، فقد كانت الأسمال البالية القذرة على كتفه الايمن ملطخة بلون أسود بشع ، وحينما استدار الى جنبه كشف ظهره عن وجود مثل هذه اللطخات . وبمنظرة دقيقة خلال تلك الأسمال يكشف المرء أن الجزء الايمن من صدر براون مغطى بجلطة كبيرة من دم نازف فيه .

حجم مثانة داخلية مفرغة لكرة قدم ، اثر وصاصة اخترقت صدره فوق الضلع الثالث من ضلوعه .

كان براون يرقد على حافة الجزء الاوسط من الجزيرة والذي كان خاليا تماما من اى دروب من دروب الحياة ، وكانت ترتفع حوله الصخور البركانية لاعلى نقطة فى تلك الجزيرة ، وهى صخور غير منتظمة تحمل ملايين الحواف الحادة كأنها الأمواس القاطعة ، تلك الحواف ، التى توضح لنا حالة اقدام براون البشعة . وعلى جانبي براون انتشر التين الشوكى ومختلف انواع النباتات الضارة التى غطت الجزيرة التى كانت مقوسة من ناحية الخلف فبدت على شكل نصف دائرة ، وكانت هذه النباتات تزداد كثافة على منحدرات الجزيرة فتغطيها بمختلف انواع الاشواك المدببة التى تفسر تهلل ملابس براون . وعلى الخطوط الضئيلة من الظلال التى تنتشر على نبات التين الشوكى انتشرت مختلف انواع السحالى المبرقشة التى كانت تفقو فى بلاده . وفى السماء كانت طيور البحر تحلق فوق جسده ، غير انه من حين لآخر قد يهب طائر غرد من أسفل السفح مقتربا من جسد براون المتهاك محملا فيه بنظرات ملؤها الشفقة . وفى أسفل السفح ، فوق مستوى المياه بقليل ، حيث تضطرم مياه المحيط الهادى بصخور الجزيرة البركانية ، تجمعت آلاف السحالى البحرية ، تلك المخلوقات العجيبة المنهمكة فى قرض الأعشاب البحرية التى تعيش عليها ، ومن حولها انتشرت « الكابوريا » بألوانها القرمزية الرائعة ، ومختلف انواع الحيوانات البرمائية التى تمثل الحياة على تلك الجزيرة ، وهى تعد آخر جزيرة مجهولة من جزر « الجالابافوس » .

وفى أعلى كانت السماء تلمع بلون أزرق صاف ، حيث كانت الشمس الحارقة تنشر أشعتها التى تبدو كأنها تيار من الحرارة يصهر كل ما يقع تحته . أما البحر فقد كان أقل ذرقة من السماء ، وهناك على مدى الافق ، يمكن للمرء أن يلمح خطا طويلا رمادى اللون يمتد فى كلا الاتجاهين على مدى البصر ، تطارده طيور

البحر التي تجمعت فوقه بالمئات بأحثة عن طعسها سواء من مخلوقات حية أم ميتة تكدست عند ذلك الخط القريب .

وعلى مدى الأفق البعيد لا يمكن للمرء أن يقتفى أى أثر للحياة البشرية عدا البحار الأول براون الذى كان مكوما بين الصخور ، يهدده الموت بين لحظة وأخرى نتيجة للجوع والعطش ، والحمى وفقر الدم ، فيتلاشى بموته الأثر الأخير من آثار الجنس البشرى فى كل تلك المساحة الشاسعة . وقد يعثر بعض العلماء المستكشفين فى الأعوام القادمة على عظامه المتفتتة ، وقد يتسألون عن سر الضلع المكسور أو الكتف المحطم ، غير أنه من المشكوك فيه تماما أن يتمكن براون وقتها من أن يشرح لهم شيئا .



الفصل الثانى

لقد بدأ الأمر كله منذ ما يقرب من عشرين عاماً حينما وضعت أرملة مستر براون طفلها الوحيد فأسمته ألبرت . . وهى لا تدرى لماذا أطلقت عليه هذا الاسم بالذات ، رغم أن أحداً من عائلتها لم يكن يحمل هذا الاسم ، ورغم أنها لم تعرف فى حياتها أحداً بهذا الاسم ، فقد شعرت أن تسمية طفلها الوحيد به سوف يرضى نزعتها القوية فى التملك ويشعرها بأن طفلها هو ملك لها .

وكبر ألبرت براون كما يكبر بقية الأطفال ، رغم أن أمه أجانا براون كانت ترفض بإباء الاعتراف بوجود أى تشابه بين طفلها وبين الأطفال الآخرين . . وكم بلغت سعادتها ذات يوم ذروتها حينما استطاع أن يناديها بكلمة « أمى » وأن ينادى مسز روجرز التى تسكن عندها أجانا ، باسم « مس أوزز » .

وقد عادت أجانا الى مسكن روجرز وهو المنزل رقم ٣٧ بشوارع كولشستر بعد خروجها من دار سالزبورى للتمريض . وكان المسكن مريحاً فلم تشأ أجانا أن تبحث عن غيره ، وكذلك لم تجد مسز روجرز مستأجراً جديداً يرضيها . وقد أحببت أجانا ذلك الشارع البسيط المتواضع فى خلال الفترة التى حملت فيها ألبرت ، بالإضافة الى أنها كانت قد بدأت انشاء علاقات خاصة بالعمل بينها وبين سكان الحي ، فقد كانت ملابس ألبرت الانيقة تستحوذ على إعجاب كل من يراها ، فداع صيتها فى المكان بأكمله وقدمت لأجانا عروض كثيرة تستفسر عن مدى قبولها لفكرة قيامها بصنع ملابس مماثلة لأطفال الحي سواء أكانوا ممن ولدوا مؤخراً أم ممن يتوقع وصولهم بين حين وآخر . . ووجدت أجانا أن لديها اقراغا كبيراً رغم كل ما كانت تمضيه من وقت لرعاية طفلها ، وكانت

تمقت الكسل مقنا كبيرا ، فقبلت الأعمال العروضة عليها في شغف شديد . ولم يمر وقت طويل حتى اكتشفت أنها شغلت معظم وقت فراغها ، ففي الوقت الذي لا تكون فيه يداها مشغولتين برعاية البرت تكونان مشغولتين دائما بأعمال التطريز التي اتسعت دائرتها فشملت مختلف أنواع الملابس الخاصة بالعراس . ورغم أن الربح الذي كانت أجائا تحصل عليه من هذه الأعمال لم يكن كبيرا ، ورغم أنها وجدت أن بإمكانها ألا تنفق في العام أكثر من مائة جنيه فانها كانت متحمسة لزيادة دخلها ورفع مدخراتها . وكم كانت دهشة محاميها مستر دين حينما أعريت له ذات يوم من رغبتها في أن يصبح البرت ضابطا بحريا ، وقال بأن ذلك قد يتطلب منها مالا كثيرا لكن أجائا كانت تعز هذا المظمح اعزازا كبيرا فظل الأمل في تحقيقه يرادوها طيلة حياتها ، وراحت تعد العدة له من اهتمام كبير بالبرت ورعاية له وعوثير الجريد من المال ؟ وقد جعلها هذا تقبل على عملها بمزيد من القوة والنشاط .

وعلى هذا فقد نشأ البرت في عالم متعدد الجوانب ، ففي الطابق العلوى كانت أمه هناك دائما تتحدث اليه برقة ووضوح وأدرك بفطرته البسيطة أن من الخير له أن يطيعها دائما . ومن الناحية الأخرى . فحينما أدرك كيف يهبط السلم ، كان يلتقى بمسز روجرز التي كانت ترحب به ترحيبا حارا وتقدم له دائما كلمة طيبة أو شظيرة من الخبز مغطاة بالسكّر والزبد أو مشاركة في لعبة من ألعابه أو أى شيء من هذا القبيل مما يبعث في قلبه الفرح والسرور . . رقم أن مسز روجرز بكل ما كانت تحمل له من اعزاز ، ويكل ما تقدم له من هدايا لم تحتل في قلب البرت وخياله المكانة التي احتلتها أمه التي كانت تحسن مشاركته اللعب وكانت تقرا له الكتب المسلية ، وكان صوتها العذب يتوحيده الحلوة الصافية يفوق ألف مرة بالنسبة له ؟ صوت مسز روجرز الخشن . .

وخارج المنزل ، كان الشارع بكل ما فيه من مظاهر : العربات التي تجرها الخيول الكبيرة ، وهى تضرب الأرض بحوافرها القوية

وقد زينت بريش زاهى اللون ، والسيارات العامة ، وعمال الطريق ، ونوافذ المحلات التى تعرض لعب الاطفال وقد تجمع حولها الاطفال من بنين وبنات . وخلف الشارع كانت هناك حديقة كبيرة تمتلئ بأطفال يمتازون حيوية ونشاطا ، يمضون وقتهم فى الجرى هنا وهناك وفى اللعب والصياح ومصاحبة الكلاب الضالة ، وبعضهم ذلك يعودون الى أمهاتهم اللائى يجلسن فى انتظارهم ، وما يلبثون أن يعودوا الى لعبهم ومرحهم مرة أخرى فيجرون هنا وهناك مقلدين حركات الخيول حيناً او القاطرة البخارية حينما تطلق العنان لصفاريتها حيناً آخر .. وهكذا كان الطابق العلوى والطابق السفلى والشارع والحديقة هى الاماكن الجميلة التى كان البسرت يقضى فيها معظم وقته وكلما احس بالكآبة كان يلجأ الى صدر أمه المعطر الحنون فيشكى لها آلامه فتحيطه بذراعيها الرققتين وتربت على ظهره بلطف حتى ينسى فى النهاية كل أحزانه . وسرعان ما وجد البسرت مكاناً خامساً يقضى فيه الكثير من وقته ، فقد حان وقت التحاقه بالمدرسة حيث أشرفت عليه آنسة رقيقة تدعى « مسى فارو » ، ذات الابتسامة الجميلة والتى كانت فى بعض المناسبات تضطر الى استعمال العصا مع بعض الأطفال غير المهذبين . وكان الجميع يخشون تلك العصا أكثر مما يخشون أى صفة يمكن أن يتعرضوا لها من أمهاتهم .

ولما كان امل أجائاً هو أن ترى ابنها ضابطاً بالبحرية فقد أولت هذا الأمر جل اهتمامها منذ بدأ طفلها يشب ، غير أن محاميتها مستر دين لم يكن ليقدّر هذا الأمل ، وأصابته الحيرة أمام طلباتها المتكررة بأن يتأكد لها من شروط الالتحاق بالبحرية ومصاريفها وما الى ذلك من آمال كبار ، فجازف ذات مرة وقال أنها اذا ما أصرت على قرارها بالحقاقه البحرية فعليها أن تحتسبه من المفقودين بالنسبة لها منذ الثانية عشرة من عمره .

وذكرت أجائاً لمحاميها وعلى وجهها دلالات العزم والتصميم أنها تدرك ذلك قبلاً ، فقد كانت أجائاً تؤمن بأن التضحية الداية هى الواجب الأول للإنسانية ، وأن الإنسان - أو المرأة بشكل خاص -

أقد خلق لبتحمل المتاعب ، واحسنت بأن تضحيتها بولدها هو
أمر طبيعي -وسليم خاصة وإن كان في ذلك فائدة لاسطول بلدهما -
ورأت أن تقديسها للوطن وللبحرية إنما هو جزء من تقديسها لله ١٥

وتنهذ مستر دين بنفاد صبر ، غير مصدق لها ، فقد نشأ
في بيئة لم يكن للمرأة فيها أى رأى وما كانت المرأة فى عصره
لتحلم بأية مخالفة لأوامر الرجل .. غير أنه وجد فى اصرارها
فرصة لاستنزاف مالها شيئا فشيئا ، وقد ظهرت فيما بعد
الحقيقة المرة عن مستر دين الذى ظهر أنه يحيا حياتين مختلفتين
أحدهما مع زوجته ، والثانية مع إحدى بنات الهوى ، وقد أدى
هذا الى تورطه المادى تورطا أدى به الى التفكير فى الانتحار غير
أنه حُزف عن الفكرة ، وجمع مايمكن جمعه من أموال زبائنه وفر
مع صديقه الى مدينة « كالو » ، وبهذا فقدت أجالا نصيبا كبيرا
من أموالها اذ لم يترك لها ذلك الأفاق مستر دين سوى النسيء
اليسير .. وأصبحت أعمال التطريز التى كانت تقوم بها لمجرد
شغل فراغها أمرا ضروريا لاكتساب قوتها . وشعرت بأن آمالها
فى الحاق البرت بالبحرية قد خابت .. غير أنها وجدت أنه يمكنه
أن يبدأ حياته فيها كبجار عادى وليس كضابط كما راودها الأمل ،
فظلت تعد العدة لذلك ، واحتفظت فى البنك بالمبلغ الذى ادخرته
وقدره مائتا جنيه ، وانصرفت الى عملها بهمة وحماسة كى تكسب
قوتها وقوت ولدها ، وكى تهيبء لالبرت السبيل القويم للالتحاق
بالبحرية .

الفصل الثالث

حينما وضعت أجانا طفلها ظهرت عليها فجأة بشائر تفتح جميل
أكسبتها نضرة رائعة لم تكن لها وهي في مقتبل عمرها ، فكانما
هي بذلك وردة تفتحت في فصل الخريف .. فقد استدار
جسدها ، واكتسب وجهها الذي زاد لحمه اكتنازا ملامح جميلة
واضحة ، وأصبحت مشيتها تنم عن كبرياء واعتزاز كبير بالنفس .
لقد كانت أجانا أما مثيرة للاعجاب ولذا فلم يكن غريبا أن يتأثر بها
البرت تأثرا عظيما والا يحاول أبدا أن يخالف آراءها ..

وربما كان لهذا السبب أيضا وقع مستر جولد في حبها من
أول نظرة . ومستر جولد هذا (ويعنى اسمه الرجل الذهبي) رجل
وثيق ينطبق اسمه عليه تماما ، فهو ذهبي الشعر ، ذو نظارة
ذهبية ، وتندلى على صدره سلسلة ذهبية طويلة ، مثبتة في
آخرها ميدالية ذهبية أيضا . وكان المستر جولد أنيقا في ملبسه
دقيقا في حركاته ، وبصرف النظر عن ذقنه الصغيرة وضعف
الشخصية الذي يمكن للمرء أن يلمحه على وجهه من أول وهلة فقد
كان مستر جولد يبدو للغاية رجلا بسيطا وأنيقا في ذات الوقت .
وكان مستر جولد مدرسا بالمدرسة الابتدائية التي يتعلم بها البرت .
وكان يظهر ضعفا كبيرا في شخصيته خلال وجوده بداخل حجرة
الدراسة فيحاول تغطيته عن طريق ضرب التلاميذ أو تخويفهم ،
وكان في بعض الأحيان يرسل بعضهم الى ناظر المدرسة كي يقوم
بتهديدهم مدعيا أنهم ارتكبوا أخطاء أكبر من أن يعالجها بنفسه .

وقد حدث ذات مرة أن تعثر البرت في فناء اللعب المدرسي
فوقع على الأرض وجرح ذقنه جرحا كبيرا ، فعنى به مستر
جولد وفسل له الجرح وظهره ، ثم رافقه الى المنزل خشية أن

يفاجئه الألم فى الطريق ، ولكى يشرح لأمه أن تلك البقع الدموية الموجودة على قميصه وياقته ليست من جراء خطئه هو .. ووصلا الى المنزل قرب الظهيرة حيث كانت الأائدة معدة لتناول الشاى ، وكان طبيعيا أن تدعو أجانا مستر جولد لتناول الشاى معهما . وكانت فرصة طيبة له تمكن فيها من ملاحظة ملامحها الرقيقة وجسدها الممتلئ ملاحظة دقيقة .

وما ان تلاشت عن البرت الصغير هيبة وجود مدرسه فى البيت لأول مره حتى انسل خارجا ، لكن مستر جولد ظل جالسا لبعض الوقت . وتجادب مع أجانا أطراف حديث ودى ، ثم استأذن فى الانصراف ، بعد ان استسمح من أجانا الحضور مرة ثانية ، وحينما ودعته على باب شقتها راودها الشعور بأنه رجل خيالى حالم ، لكنها تساءلت عما يمكن ان يكون اثر زواجها منه على الأمنية التى تكن لها اعزازا عظيما والتى تتعلق بالبرت ، وقررت فى النهاية انه سيكون اثرا طيبا .. أما عن مستر جولد نفسه فقد خرج من المنزل الى الشوارع وعقله ملىء بالرؤى الجميلة . ورغم انه لم يكن من عادته الاهتمام بدقائق جسم المرأة الا أنه وجد نفسه مستغرقا فى ذلك هذا المساء .

وأفرقته صورة أجانا فى بحر من الخيال .. وفى صباح اليوم التالى بالغ مستر جولد فى المعاملة الطيبة التى عامل بها البرت حتى ان كل زملائه الصغار تحولوا الى مرافقته واللب معه .

لكن لحظة واحدة كانت كفيلا بتحطيم كل آمال مستر جولد ، وكان ذلك فى زيارته الرابعة والأخيرة لأجانا ، حيث جلس هو على مقعد ذى ذراعين بجوار المدفأة أما أجانا فقد جلست أمامه على مقعد صغير ، وانشغلت فى التطريز .. وكان يحس بالزهو والخيلاء وهو ممسك بكوب الشاى وقطعة من الخبز المحمر المدهون بالزبد وأجانا تجلس أمامه جلسة ساحرة راقت له . وراق له أيضا لاعب الضوء المنبعث من المدفأة على رأسها ورقبتها البضة المستديرة . وصور له خياله أن النعيم كله يكمن فى أجانا وبعض الليل ، ربة منزل

مدبرة ، وزوجة ذات جسد أبيض جميل . . ولم يستطع مقاومة تلك الصورة التي زينها له خياله . . وتامل في مقدمه ، فبعد قليل سيعرض عليها الزواج ويتذوق حلاوة شفيتها الدقيقتين .

اما أجاثا فكانت بدورها غارقة في التفكير وهي منهمكة في التطريز في الرجل الذي أمامها وراودت خيالها بعض الصور الشاحبة عما ستكون عليه حياتها مع مستر جولد غير أنها توقفت عن التطريز فجأة وقد خرقت أذنيها الكلمات الأخيرة لمستر جولد الذي كان يقول :

— . . . وكل تلك الأموال التي ننفقها على أشياء لا يرجى منها نفعا ، اننى لا أومن بذلك مطلقا ، وذلك المبلغ الذى يصل الى شلن ونصف شلن الذى يستقطعونه كضريبة للدخل لسوف يتسبب فى ثورة كبيرة . انظرى الى الأموال التي ننفقها على الجيش والأسطول ، انها تبلغ ملايين الجنيهات . وما هى تلك البحرية الجريئة التي يتحدثون عنها ، اننى ما أراها سوى مضيعة للمال ، فما حاجتنا الى أسطول ؟ وأي دولة تلك التي ستفكر فى الهجوم علينا وأي فائدة ستجنيها من هذا ؟ ان البحرية لا تنفع أحدا . . اللهم الا من يحصل على وظيفة كبيرة بها . . لقد أخطانا باشتراكنا فى هذه الحرب . واننى دائما ما أعبر عن رأيي هذا . . اننى رجل مسالم . . اننى . . .

ولم يتوقف مستر جولد عن الحديث الا حينما لمح على وجه أجاثا نظرة تم عن الضيق والاضطراب فنهض من مقعده وقال لها :
— يا الهى . . ماذا بك يا مسز براون ، ماذا حدث ؟ الست بخير ؟ .

وقالت أجاثا وهي تشيح بوجهها عنه :

— لا . . لا . .

لقد أفزعها تلك الأباطيل التي سمعتها منه . . هذا هو مستر .

جولد الذى اعتقدت بأنها تعبه .. أنه ينادى بالتخلي عن الحرب
فى سبيل الوطن ويسخر ببحرية بلاده ..

لقد أفرعتها كلماته تماما .. وفكرت مرة ثانية فيم يمكن أن
يكون أثر زواجها منه على مستقبل البرت . ولم يدر مستر جولد
أنه وجه إليها بما تفوه به أكبر أساءة يمكن أن توجه إليها وقالت :
- لا .. اننى على خير ما يرام ..

- أرجوك يا مسز براون .. ماذا هنالك ؟

- أعتقد .. اعتقد أن الوقت حان لرحيلك ..

ولم يفهم مستر جولد المسكين شيئاً وقال :

- ولكنى يا مسز براون ..

وكان كل ما فعلته أجاناً هو أن عبرت الحجرة ففتحت بابها ولم
يلكن المستر جولد من قوة الشخصية بحيث يرفض ما قصدته أجاناً
بفعل هذا ، فخرج خافض الرأس وصققت أجاناً الباب خلفه ..
وليلتها قالت لمسز روجرز :

- استمعى الى يا مسز روجرز ، اذا حضر ذلك الرجل مرة
ثانية فأخبريه بأننى لست هنا .. أفهمين ؟

الفصل الرابع

ومرت السنوات واحدة تلو الأخرى تحمل كل منها من الهموم والأحزان أكثر مما سبقتها ، فقد تدهورت قيمة ما تكسبه من أعمالها في الحياكة والتطريز نتيجة لانخفاض معدل الولادة ومعدل الزواج بالإضافة الى أن البساطة أصبحت الطابع المميز للملابس العصر .. أما المحلات التي كانت تشتري انتاجها فقد كبرت أو اندمجت في محلات أخرى ولم تعد أجائا قادرة على الإيفاء بمهمة إمدادها بما تتطلبه من انتاج .. وزاد التنافس وقل المال في أوائل هذا القرن عما كان عليه في نهاية القرن الماضي . وانخفضت مكاسب أجائا حتى أنها كانت تضطر في بعض الأحيان الى سحب بعض مدخراتها كي تسدد قائمة حساب منزل روجرز الأسبوعية .

غير أن كل مشاكلها لم تتركز في قلة العمل وانخفاض الدخل فقد أصابها الألم الجسماني ، وكان الألم الذي يتأبها بسيطا في بعض الأحيان حتى أنها كانت تتغاضى عن الاهتمام بعلاجته . لكنه في أحيان أخرى كان يفاجئها في صورة حادة قوية . وقد بدأت هذه الآلام تصيبها حينما كان البرت في الحادية عشر من عمره .. وحاولت تقبل تلك الآلام بالروح التي كانت تقبل بها كل صدمات القدر بحجة أن الألم شيء طبيعي بالنسبة للمرأة عليها أن تتحمله طيلة حياتها . وزحفت آثار الألم على وجهها فامتحت نظراتها الصافية وتلاشت اتسماتها وضمير خداه ، وظهرت التجاعيد بين حاجبيها نتيجة لما تعانيه من الآلام مفاجئة فتظل عاقدة حاجبيها لفترة طويلة .

أما البرت الذي كان قد تحول من المدرسة الابتدائية الى المدرسة الثانوية فقد الهاه هذا التحول عما طرأ على أمه من تغيير كما أن أجائا كانت تحاول دائما إخفاء ما يلم بها عنه فتلقاه دائما بابتسامة حارة كلما عاد الى المنزل ، وبذلك لم يلاحظ أي نوبة

من النوبات العديدة التي كانت تفاجئها فترمي بها في حالة من الشرود أو تجعلها تستमित من الألم وهي تقبض بيديها على ذراعي مقعدها ..

ولكن حل في النهاية وقت لم تعد أجاثا تتحمل فيه عذاب الآلامها أو تعتبر تلك الآلام طبيعياً لسيدة في الثالثة والأربعين من عمرها .. وللمرة الثانية في حياتها استسلمت لفحص الطبيب والتر الدقيق ذلك الطبيب الذي أشرف على ولادتها .. وللمرة الثانية سمعت تقريره ، لكنه كان في هذه المرة تقريراً مختلفاً ، فقد عبر لها عنه في حزن وأسف وليس في سعادة وأمل كما حدث في المرة الأولى .. ولكن أجاثا أحست بأن كل مايقوله الطبيب ليس جديداً عليها ، فكل ما هنالك أنها كانت تشعر بالمرض لكنها لم تكن تريد الاعتراف به . وأحس الطبيب بالألم يعصر قلبه من الشفقة عليها وهو يخبرها بما ألم بها من مرض ، وبضرورة إجراء عملية جراحية ، وأشاح بوجهه عنها وهو يحاول أن يخفي من صوته أي أثر يمكن أن ينم عنه معرفته مقدماً للنتيجة هذه العملية .

وعلى هذا فقد عاد البرت من مدرسته ليجد عالماً مختلفاً تقوم فيه مسز روجرز بدور أمه التي اختفت من المنزل لتحتل مكانها في المستشفى حيث تمكن منها المرض تماماً . فكان البرت يذهب إلى مدرسته في حالة عميقة من الحزن وأصبح يقضي أيام عطلاته في رحلات قصيرة إلى المستشفى حيث يمضي دقائق قليلة مشحونة بالقلق على مقعد بجوار سرير أمه . وفي عصر ذات يوم أخرجت ذراعها المرتعشة من تحت ملء السرير ومدتها إلى البرت وهي تقول له :

— أتذكر يا البرت ما قلنا عن البحرية ؟ أتعلم أنه يجب عليك الالتحاق بالبحرية ؟

وقال البرت :

— بالطبع يأمي بالطبع ..

فقد كان ذلك أمراً متفقاً عليه بينهما لسنوات طويلة ولكنها عادت لتقول له :

— عدنى اذن يا ولدى .»

وكانت عينها واسعتين بالنسبة لوجهها الضامر ، وحملت فى البرت بطريقة بثت الخوف فى قلبه ، فقال لها :

— بالطبع يامى لسوف التحق بالبحرية دون شك . .
وارتسم الاقتناع على وجه أجانا مما بعث الراحة فى قلب
البرت .

ولما أجريت لها العملية الجراحية توقع بعض الأطباء فى البداية أنها
اقد تستعيد صحتها لكن سرعان ماتلاشى هذا الأمل حينما فاضت
ووجها بعد أيام من المعاناة ، وانكفات مسز روجرز على كتف البرت
وهى تبكى بحرقة .

وحينما انتهت مراسيم الجنازة والدفن شعر البرت بأن كابوس
ثقيلا قد ازيح عنه ، وظلت ذكرى هذا الكابوس تراوده لفترة ، لكنه
ميرعان مانسيه تماما .»

الفصل الخامس

كان البرت براون فى الرابعة عشرة والنصف من عمره حينما توفت امه . ولم يكن بمستطاعه الالتحاق بالبحرية قبل تسعة شهور اخرى ، فترك مدرسته غير آسف عليها وامضى تلك الشهور فى أعمال بسيطة مختلفة ، وحينما اكتمل عمره خمسة عشر عاما وثلاثة اشهر اتجه الى « هوايتول » كى يقدم اوراقه للالتحاق بالبحرية فرحب به المسئولون ايما ترحيب ، فهذا النوع من الشباب هو ما تحتاجه البحرية ، اذ انهم وجدوا البرت يتيما ، ليس له من صلة قرابة بأحد فى هذا العالم ، كما انه لم يكن بالشاب الضعيف البنية بل كان شابا قوى البنيان صحيح البدن ، وهو ايضا قد نال قسطا من التعليم ، فقد امضى نحو ثلاث سنوات بالمدرسة الثانوية ، كما انه خبر الحياة العملية لمدة تسعة شهور ، ولديه شهادات حسن سير وسلوك من كل مكان عمل به تشهد بما كان عليه من خلق حسن وسير حميد . ولم يكن له وصى شرعى ، فقد كان البرت يرفض باباء ادعاء مسر روجرز بأنها الوصية الشرعية عليه ،

وعلى اى حال فبعد التحاقه بالبحرية بنحو ستة شهور أصبح البرت شابا مرموقا فى « ثكنات شوتلى » ورغم انه لم يكن ذا عقل نابه او شخصية متميزة الا ان ثكنات شوتلى كانت نادرا ما تستقبل من درسوا فى المدارس الثانوية مبادئ علم الميكانيكا وحساب المثلثات . . وساعدته معرفته القليلة بالرياضيات على التفوق على اقرانه فى المواد البحرية التى كانوا يتلقونها فى بداية التحاقهم بالبحرية . وتقدم البرت خلال فترة دراسته الاولى بعزيمة لاطين فتدرب على حمل السلاح والعموم واطلاق النار ثم تلقى فنون البحرية وتدريب عليها ، وانتقل من الكتيبة الثانية الى الكتيبة الاولى ثم ترك تلك واصبح بحارا على السفينة « شريبدس » وهى من سفن الدرجة

الثالثة ، وقد تحركت فى أواخر سنة ١٩١٢ من ميناء « بورموث »
وهى تحمل العلم البريطانى لتقوم بجولة عامة فى ميساء بلدان
الشرق .

ومع بداية الحرب العالمية الأولى كانت « شريبدس » فى
منغافورة وقد عم السرور ملاحيا جميعا اذ ساد الاعتقاد بأن جهود
ألمانيا البحرية العظيمة سوف تتمخض عن الحرب بينها وبين إنجلترا
وكان البحار الانجليزى فى ذلك الوقت قد نسى بمرور الأعوام
العداء بين بلده وبين فرنسا ، ذلك العداء الذى استمر قرونا طويلة
وأصبح يتوقع بفارغ صبر حدوث اية معركة فى البحر الشمالى ،
فقد أمد العدة لمثل هذه المعركة وسحب معظم قواته من البحر
الابيض المتوسط ومن المحيط الهادى حتى أصبحت المياه الشرقية
لاحتوى الا على بعض القوات الانجليزية الصغيرة فى الوقت الذى
كانت البحرية فيه فى أوج عظمتها . وفى احدى ليالى الصيف
حينما تحرك الأسطول الأول متجها صوب الشمال ناحية قاعدته
العسكرية فى « سكابا » حمل الاثير أخباره الى مختلف الوحدات
البحرية البريطانية المنتشرة فى المحيط الهادى .

وكان الوضع ، بطبيعة الحال ، مثيرا للقلق ، فقد اختفى أثر القبطان
الألمانى « فون سبى » فى مجاهل المحيط مع أنه تمكن بمهارة
من التخلص من معركته فى موقعة « تسينج تاو » قبل أن يشتعل
أوار الحرب فى كل مكان ، ثم اختفى بعد ذلك تماما ولم يعد بمستطاع
أحد أن يخمن أين سيظهر مرة ثانية أو أين ستكون ضربته التالية .

وكانت سفينته الحريتان « جنايزناو و شارنهورست » من
السفن التى حققت اعظم الانتصارات فى الأسطول الألمانى ، وكان
مفزى هذا واضحا بالنسبة لكل من يفهمون الانتصارات التى
حققتها المدفعية البحرية الألمانية . وكان تحت قيادة « فون سبى »
أيضا بعض السفن الصغيرة غير أنه لم يكن مؤكدا ما اذا كان المرید
من هذه السفن قد لحق به بعد مغادرته « تسينج تاو » لكن كان من
المعروف أن «مولير» قبطان السفينة « ايمدن » و «فون لوتز» قبطان

السفينة - تسيثن - كان بإمكانهما الارتباط به إن هما رغبا في ذلك . . وكان واضحا أن « فون سبي » تقع تحت أمرته فرق بحرية سرية الحركة ذات ضربات قاصمة لا يمكن للأسطول الانجليزى مجابهتها بسهولة إلا باستخدام البوارج الحربية الكبرى . . ولم يدر أحد أين يظهر « فون سبي » مرة ثانية بعد اختفائه فى مجاهل المحيط بعد موقعة « تسيثنج تاو » أو أين ستكون ضربته التالية .

ولم يحمل بحارة السفينة « شريبدس » هما فقد كانوا يشقون ثقة بالغة فى ضباطهم الذين ملكوا من القوة ما يمكنهم من مجابهة « فون سبي » . . وكان كل رجل على السفينة يرحب بأية فرصة للاشتباك مع سفينته « شانهورست » أو « جنايزناو » بمدافعهما القاتلة ذات العيار مقاس الثمانى بوصات . . وتوقعوا لأنفسهم نصرا عظيما .

أما البحار الأول البرت براون - والذي حصل على هذه الرتبة بعد عامين أمضاها كبحار عادى - فقد كان على علم كامل بالحقائق والاحتمالات ، فكان يدرك كما يدرك الآخرون أنهم سيتعرضون لهجوم « فون سبي » بين حين وآخر ، لكنه كان يدرك ما فى ذلك من غاظر اذ ليس بوسع السفينة « شريبدس » أن تنجح فى أى معركة ضد أية فرقة من فرق « فون سبي » الكثيرة كما أنها لا تملك السرعة الكافية للفرار من أى خطر . . فإن أيا من البارجتين الحربيتين الكبيرتين « شانهورست » أو « جنايزناو » بإمكانهما العصف بها من فوق المياه فى لحظة واحدة . . أما السفينة « تسيثن » ، وهى الأخرى سفينة حربية لكنها أصغر من البارجتين الأخرتين ، فلن تجد صعوبة فى الاطاحة بها . . بل إن « براون » كان على يقين من الخطورة البالغة التى يحملها أى اشتباك مع أى سفينة المانية صغيرة كسفينة « ايمدن » أو « دوسدن » التى كانت تحمل مدافع صغيرة لكنها تمتاز بحدائتها . . لكن براون كان يحمل بين جنبيه قليلا شجاعا حتى أنه مع ادراكه للخطر المحدق بهم ، لم

يجفل من الخوف ولو حتى فى دخيلة نفسه ، فان واتاه الموت
فذلك حق لوطنه عليه وان لم يمت فسيكون نصيبه الترقية بعد
انتهاء الحرب فهو الآن بحار اول وهو لم يتعد بعد العشرين من
عمره .

وحيثما انتشرت فوق المحيط الهادى البرقيات اللاسلكية تطلب
من الوحدات البريطانية الاتجاه ناحية الشرق شقت السفينة
« شرييدس » طريقها الى هناك ، تاركة سنغافورة .. وكانت تلك
هى البوادر الاولى للحرب قبل أن تتحول اليابان ضد المانيا وتبعث
باسطولها شرقا خلف « فون سبى » .. وشقت شرييدس طريقها
خلال بحر الصين ومنه الى جزر « الكارولين » وجزر « مارشال » ،
وكانت هذه الجزر من الممتلكات الألمانية ، وكان من المحتمل جدا
العثور على « فون سبى » بها لكن المساحة الشاسعة التى كانت
تحتلها هذه الجزر كانت كفيلة بأن تجعل فرقة صغيرة تضل
طريقها خلالها . ولم يستطع قادة شرييدس أن يحددوا المكان الذى
قد يكون « فون سبى » مختبئا به ورغم أن البحرية الاسترالية
كانت تحرس الشواطئ الجنوبية وكان الاسطول اليابانى يكتسح
الشواطئ الشمالية إلا أن ذلك كان يمثل حصارا مفككا حول
« فون سبى » الذى كان بمقدوره التسلل والهرب اذا شاء ذلك ..
وقد ترددت الأنباء حينئذ أن « مولير » قبطان سفينة « ايمدن »
قد هرب بسفينته وساد الاعتقاد بأنه قد شق طريقه الى المحيط
الهندي حيث يجد هناك مجالا متسعا لاغتصاب السفن التجارية
وتحطيمها وغرقها وأسر بحارتها .. لكن ذلك لم يكن يعنى أن
« فون سبى » قد سار فى ذات الاتجاه ، فقد كان واضحا أنه
انفصل عن هذه السفينة وتحرك فى اتجاه جديد ربما كان عبر
المحيط رأسا .. وأصبح تحديد مكانه أمرا ضروريا ، فلربما يتمكن
من عبور « قناة بنما » الى جزر الهند الغربية ثم يعبر المحيط
الأطلسى فى محاولة جريئة للوصول الى بلاده . وجاءت الاوامر
عبر اللاسلكى تطلب من السفينة « شرييدس » أن تشرق طريقها
عبر المحيط الهادى ثم تتجه يمينا صوب أحد مراكز الفحم البهريّة

وتواصل مسيرها من هناك تجاه « بنما » بحثا عن « فون سبي »
كى تعلن وجوده على الملا أجمعين .

وشاءت المصادفة المحضة وحدها ان تلتقى فى تلك البحار
الشاسعة المنعزلة سفينة بأخرى .. فبينما كان « فون سبي »
يشق طريقه خلال سواحل أمريكا الجنوبية أصدر أوامره للسفينة
« تسيثن » التى يقودها « فون لوتز » بالاتجاه صوب الشواطئ
الاستراالية ، ونفذت تسيثن الأوامر ، وعلى بعد ألف ميل داخل
البحر التقت بالسفينة « شرييدس » .

وكان أول ما ظهر للسفينة «شرييدس» مجرد غلالات من الدخان
الأسود تغلف الشفق فشقت طريقها صوبها .. وسرهما ما أوضحت
مداخلها الثلاث ، وحملق قائد «شرييدس» خلال منظاره بقلق مدققا
فى صورة السفينة وهى تتراعى أمام عينيه ، وصاح قائلا :

— انها « تسيثن » فأين الأخريات ؟ .

وظلت السفينتان فى اتجاهين مختلفين ، تحاول كل منهما
التأكد مما اذا كانت الأخرى وحيدة .. لكن الأفق البعيد لم يظهر
أية آثار لغلالات أخرى من الدخان .. لم يكن هناك اذن مستوى
هاتين السفينتين على تلك المساحة الشاسعة من المياه .. وتساءل
قبطان شرييدس مع نفسه وهو يعرف الإجابة تماما :

— انحارب أو نهرب ؟ .

الهرب ، كلا .. لا ينبغي له الهرب ، حتى ولو لم يتمكن من
محاربة تسيثن فعليه أن يناورها ويجعلها دائما فى مجال رؤيته
حتى تصل سفينة أخرى قادرة على محاربتها .. ولكن مناورة
سفينة أكثر قوة على بعد آلاف الأميال فى بحر ملىء بالمخاطر كانت
أمرا لا تؤمن عواقبه . وفى الوقت الذى كان القبطان يفكر فيه فى الأمر
بهذه الطريقة . كانت تلك الأفكار ذاتها تراود البحار الأول ألبرت
براون الذى كان يعمل على المدفع رقم ٢ ذى العيار مقاس ١٧
بوصة ٠٠٠ على القبطان اذن أن يحارب حقا ان مدافع العدو من ذات
العيار ٩ره بوصة ٧ وحقا ان سفينة العدو حولتها ثمانية ألف
طن وحمولة سفينته أربعة آلاف طن فقط ، ولكن الحظ قد

يساعدهم ، فأى معركة بحرية تعد دائما مسألة حظ .. وعلى أسوأ الفروض فقد يحدث فى تسيثن خسائر جسيمة قبل أن تفرق سفينته .. واصابة تسيثن بخسائر جسيمة تعنى تحطيمها نهائيا اذ أنها لن تجد مكانا ملائما لترميم ما أصابها .

كانت « غرفة العمليات » قد تاهبت للعمل وتساعد البخان من الخزانات وتعالى ضربات المحركات اذ أسرعت السفينتان كلا فى تجاه الأخرى .. ووضع القبطان منظاره على عينيه مرة ثانية وأصدر أمره بأن تنطلق السفينة بأقصى سرعتها .

وكان القبطان يبذل كل ما فى وسعه للاقتراب من السفينة الأخرى حتى يتمكن من اطلاق النار عليها اذا ما بدأت هى بذلك ، وفى الوقت الذى انطلقت فيه شرييدس قدما كان رجال اللاسلكى يبعثون بأشاراتهم هنا وهناك وهم يصفون الاشتباك محددين المكان بخطوط الطول وخطوط العرض ، محاولين بذلك تعريف الاسطول البريطانى بالمكان الذى وجدت فيه السفينة الألمانية تسيثن .

أما تلك السفينة فكانت تحاول دون جدوى ارسال أية اشارات لزميلاتها فى المحيط لكنها كانت على بعد آلاف الأميال منها وكان الجو متقلبا .

لكن تسيثن ، رغم هذا ، كانت على استعداد لمقابلة مناورات شرييدس فقد كان القبطان لوتز يفهم تماما أهمية تفوق مدافعه على مدافع السفينة الأخرى ... وأصدر هو الآخر أوامره بأن تشق السفينة طريقها بأقصى سرعة تجاه شرييدس . وعلى هذه السفينة كان ضابط المدفعية يصيح بصوت خشن فى زميله الذى يقدر المسافة بين السفينتين قائلا :

— أما زلنا خارج نطاق دائرة اطلاق النار ؟ .. عليهم اللعنة !

وظهرت فجأة غلالات من الضباب حول السفينة تسيثن ، وعلى حين غرة ارتفعت على سطح الماء ، على مسافة مبعده مائة ياردة من مقدمة شرييدس ، أعمدة من المياه نتيجة لبعض طلقات أطلقتها مدفعية السفينة الأخرى .

والجمت الدهشة ضابط المدفعية فلم يكن يتوقع أن تكون طلقات التجربة التي تجربها السفينة الأخرى بمثل هذه الدقة .. وحاولت شرييدس أن تزيد من اقترابها من تسيثن ، لكن تلك أطلقت مدافعها مرة ثانية فوصلت طلقاتها على مبعده مائة ياردة من قطر شرييدس التي تعالى الماء فوق سطحها ، ولم تمض ثواني قليلة حتى كانت طلقات تسيثن الحقيقية قد وصلت الى شرييدس وصاح ضابط المدفعية :

— يا الهى ، لقد حوصرنا !

ثم لا يملك أن يبدي اعجابه ببراعة منافسه القدير فى التصويب قائلا :

— يا له من تصويب رائع .. اللعنة ..

وتوالى الطلقات صوب شرييدس فأغرقت سطحها بالآاء ، وفى المرة التالية سقطت ست قنابل على سطح السفينة فأطاحت بضابط المدفعية وضابط المراقبة ، وكاد الدخان يخنق كل من عليها ، وتوالى هطول القنابل فوق شرييدس بين لحظة وأخرى حتى حطمتها تحطيماً .. لقد كان جنود المدفعية الألمانية يطلقون نيرانهم على السفينة البريطانية مدرعين بخبرة سنين طويلة من المران المنتظم فأمطروها بوابل من القنابل فلم يتوقفوا لحظة حتى كى يشاهدوا ما أحدثوا بها من دمار ..

وتهاوت « شرييدس » تحت ذلك الوابل من القنابل وتعالى منها الدخان لكن محركاتها كانت لا تزال تعمل فتجعلها محتفظة بسرعتها الأولى . وكان القبطان قد هبط الى قاع السفينة وقد أصابته شظية قاتلة ، وتولى قائد السفينة دفة الأمور . وتناثروا القتلى من الرجال وهم يحملون بنادقهم بينما حمل العمال الجرحى من الرجال متجهين بهم الى قاع السفينة حيث يقوم الطبيب بإسعافهم فى جو معتم ..

ومع كل هذا فقد ساعد العزم والتصميم على أن تحقق

شريدس فى النهاية نصرا يليق بها ، فقبل أن تفرق تماما كانت بغض قنابلها قد أصابت تسيثن ، وتسببت فى قتل بعض من عليها .

لكن شريدس كانت قد تحطمت تماما رغم أن محركاتها كانت لا تزال تدفعها الى الامام بأقصى سرعة ، فقد تحطم جانبها من آخره وغمرت النيران من كل جانب وفى كل مرة كانت تطلق فيها قنبلة على السفينة تسيثن ، كانت تلك ترد لها الصاع صاعين فتطلق عليها بالخمس قنابل فى المرة الواحدة ، عن تصويب بارع وتقدير دقيق للمسافات .. وجاءت نهايتها عن طريق خزان للوقود اشتعلت فيه النيران فانفجر انفجارا رهيبا حولها الى ركام ، ومن لم يمت اثر الانفجار تلففته النيران والأمواج المتهاجة .. ورغم انفجار الخزانات ورغم انهيار السفينة تماما وتلاشي بقاياها فى اعماق المحيط فقد ضربت تسيثن آخر ضرباتها وسط كل ذلك الحطام ، وفى نصف دقيقة تحولت شريدس من أمر واقع الى لا شيء ..

ومن سفينة محاربة الى قطع من الحديد تفوص فى مياه المحيط الهادىء الى الاعماق اللانهائية المظلمة .. ولم تخلف سوى كميات كبيرة من الزيت و تراب الفحم لطخت زرقة المحيط الصافية ، ووسط كل ذلك طفا بعض الحطام البشرى وغير البشرى ، ومن لقوا حتفهم ومن لا يزالون على قيد الحياة ، لكنهم كانوا جميعا فى حكم الموتى ..

« الفصل السادس »

لم يكن ما فعله براون فى المعركة الحربية بين شرييدس وتسيشن هو ما يستحق التسجيل فقد كان براون واحدا من كثيرين ، ومهما كان قد فعل فان الفضل لا يرجع اليه ولكن الى البحرية ككل ، فهى الهيئة التى علمتهم ودربتهم . . . ولو كان براون قد واصل اطلاق النار من مدفعه ذى العيار ٧٤ بوصة دون اى توجيه من رئاسة عليا فذلك لانه تعلم ان يستمر فى اطلاق النار تحت اية ظروف ، والفضل فى ذلك ايضا لا يرجع اليه ولكن الى كبار القادة البحريين فى العصور السالفة الذين وضعوا هذه القواعد .

لقد كان براون حقا رجلا شجاعا ولم يتخل عن مركزه فى الدفاع ، لكن كثيرا من الرجال ممن هم اقل منه شجاعة كان بإمكانهم أن يفعلوا ما فعله لو المت بهم الظروف التى المت به . . . الا أن ما حققه براون نفسه من مجد وبطولة كان على ظهر جزيرة «رزيوشن» حتى أصبح له الفضل الاول فى تحطيم السفينة الألمانية تسيشن ، فقد عمل براون على هذه الجزيرة دون أوامر من احد ، ولكن بدافع من ذاته فقط ، وتحت ظروف لم يكن ليجدى التعليم أو التدريب فيها نفعا .

لكن هذا على اية حال أمر سابق لاوانه ، اذ لم يدرك احد من البحارة الألمان وقتها ، والذين نزلوا الى الماء بقواربهم كى يأسروا من بقى على قيد الحياة من بحارة شرييدس ، لم يدرك احد أنهم مرغان ما سيلقون الموت من خلال جسد براون الضعيف المرتعش ا فقد كان جسده يرتعد بشدة بعد ان أطاح به الانفجار الذى احذته ا خزان الوقود ، فى الماء ، وتمكن من التعلق باحدى الكتل الخشبية التى ساقتها اليه العناية الالهية فى اللحظة التى غرقت فيها

شريبيدس . . والتقطه البحارة فوضعوه على أرض القارب عاكدين
به الى تسيثن حيث ساعدوه على الصعود اليها .

وكان كل ما تمناه براون ساعتها هو أن يهزمه ضعفه ويفط
في نوم عميق لكن ظروف الحرب العنيفة لم تكن لتمنحه هــنـم
الفرصة الطيبة . . . وكان هو الوحيد الذي لا يزال في وعيه من
البحارة الثلاثة الذين ظلوا على قيد الحياة بعد غرق شريبيدس وكان
على القبطان لوتز الذي يحمل مسئولية تسيثن ومن عليها من
مئات البحارة أن يعرف في الحال كيف أتت شريبيدس الى هـنـا
المكان ، وما اذا كانت هناك سفن أخرى في المنطقة تكون قد تلقت
برقياتها . ، وما اذا كان اللقاء بين السفينتين قد تم عرضا أم انه كان
مقصودا .

كان القبطان لوتز في حاجة الى أن يعرف كل معلومات يرجى
له منها نفع . وعاملوا براون معاملة طيبة ، فجففوا ملابسه وقدموا
له بعض المشروبات وسمحوا له بالجلوس على مقعد مريح في
صيدلية السفينة يبالقرب من غرفة المرضى ، حيث بدعوا استجوابه
والقى براون نظرة شاردة على مستجوبيه وهو مكوم في مقعده
وأدرك أن الضابط المتحى ذا الشريط المحلى بأربع حلقات ذهبية
أضما هو قبطان السفينة وأن الضابط الشاب الآخر هو ملازم ثانة
وذلك الرجل الذى شمر عن ساعديه هو الطبيب ، وكان منهمكا في
أسعاف البحارة الستة الذين أصابتهم قنابل شريبيدس وخلفهم
جميعا وقف المرضى المختص بغرفة المرضى .

وكانت أسئلة القبطان قوية وصارمة وكان يلقيها ولكنة
انجليزية غير واضحة ، ثم ينفجر أحيانا في زميله الملازم متحدثا
باللغة الألمانية ، فيعود هذا الى استجواب براون ولكنة انجليزية أكثر
وضوحا من لكنة القبطان .

وأجاب براون اجابات قاطعة وعيناه مغمضتان من التعب ، فلذكر
أن شريبيدس عبرت جزر الكارولين وجزر المارشال متخذة طريقها
الى جهات الشرق عبر المحيط الهادى . . وذكر أنه لا يعلم شيئا عما اذا

كانت هناك سفن انجليزية أخرى فى المنطقة أم لا وانه لم يسمع
أى شىء من التركيز ضد الفرقة الألمانية .. وطلب القبطان من
الملازم أن يترجم له ماقاله براون ، ففعل هذا ثم أخبر براون بلهجة
صارمة أن الأسير الذى يدلى بمعلومات مزيفة توجه إليه تهمة
التجسس ويعرض للأعدام رميا بالرصاص .. وسأله القبطان :

— هل توقعت شربيدس ملاقات تسيثن ؟

— لا أعلم .

— ماذا كانت وجهتها حينما التقت بتسيثن ؟

— لا أعلم .

— والآن ، هل يريد بمثل هذه الاجابات أن يعامل معاملة

طيبة ..

فأجاب براون :

— نعم ..

— فليجب إذن على الاسئلة اجابات سليمة .. ماذا كانت وجهة

شربيدس ؟

— لا أعلم ..

وفى هذه اللحظة تدخل الطبيب فغادر القبطان المكان ساخظا
« .. وكان براون صادقا حينما ذكر أنه لايعلم شيئا ، لكن كانت لديه
تظيرة ثابتة عن مجريات الأمور ، ولو صرح للقبطان « لوتر » بما
يدور فى خلده لأزال الكثير من قلقه ومخاوفه ، لكن براون لم يشأ
ذلك .. وتحديث الطبيب الى المرض الذى استدمى زميلا له فحملا
براون الى سرير بداخل غرفة المرضى ، ووضعها له زجاجة ساخنة
تحت قدميه ، وغط فى نوم عميق كان فى حاجة ماسة اليه ، فى
الوقت الذى نكصت فيه تسيثن على عقبيها متخذة طريقها
اشرقا .

والذى حدث هو أن شربيدس هوت الى قاع المحيط بعد أن
أصاب أحد مدافعها تسيثن اصابة بالغة على ارتفاع قدم واحد
لفى مستوى الماء وعلى مبعدة ياردة واحدة من حزامها المسلح ،

حيث انفجرت احدى القنابل محدثة ثقبا عظيما تدفقت منه المياه الى داخل السفينة بحيث لم تستطع المضخات المختلفة القيام بعملها على خير وجه ، مما اضطر عمال النظافة الى تغطية هذا الثقب بحصيرة خاصة بحالات التصادم ، بينما قام عمال الوقود باخلاء « العنبر » الذى حدث به الثقب من الفحم الذى كان يعوق المضخات عن القيام بعملها .

وكان هذا يعنى أن تؤجل تسيثن القيام بفارمها التالية ، فليس من قبطان يمكنه المخاطرة بنسفيتها فى رحلة طويلة وهى فى مثل تلك الحالة ، خاصة وان كان قائد سفينة المانية لايتوقع صديقا على مسافة خمسة آلاف ميل ، وبوجود احتمال دائم لنشوب معركة فى اية لحظة . . اصبح محتما على تسيثن أن تجد مرفأ تلجأ اليه حتى تستطيع اصلاح ما ألم بها من خسائر ودون أى تأخير . وربما يعرضهم الالتجاء الى ميناء محايد للاعتقال ، وتلك هى أسوأ نهاية يمكن أن تنتهى اليها رحلتهم . وحتى لو لم يعتقلوا ، على أحسن الفروض ، فان وجود السفينة فى ذلك الميناء سوف يداع على العالم ، وستجد قوات العدو فى انتظارها عند خروجها من المياه المحايدة . ولذا فقد كان لزاما عليها أن تجد مكانا منعسلا لايمكن أن تنتشر منه اخبارها ، وتستطيع أن ترمم فيه اجزاءها المحطمة . . وكان فى المحيط الهادى العديد من هذه الأماكن ، وكان أقرب مكان من السفينة هو أفضلها جميعا ، وقد قرر القبطان لوتز الالتجاء اليه دون حتى أن يضع أى اعتبار لقوانين الملاحة وتعليماتها وكان ذلك المكان هو جزيرة زوليوشن ، وهى جزيرة فى أقصى شمال سلسلة الجزر المعروفة باسم جزر جالاباغوس . وشقت السفينة طريقها الى هناك فى الوقت الذى كان براون يغط فيه فى نوم عميق اثر الاجهاد العظيم الذى تعرض له .

ونام براون بقية النهار ومعظم الليل . . واستيقظ قرب الصباح أكثر من مرة على جلبة عظيمة لم يتبين مصدرها . . واستسلم للنوم مرة أخرى لكن حينما حل الصباح واستيقظ تماما ، سمع الجلبة مرة ثانية . . وبدأ له أنها صادرة عن الجانب الايمن من السفينة لكنه

لم يستطع تفسيرها . ونظر حوله . . كان وحيدا رغم وجود سرير
'فأرغ بجانبه . وكانت هناك مروحة كهربائية تبعث بالهواء فى المكان،
اذ كانت السفينة حينئذ على خط الاستواء ، وكانت الشمس تبعث
بأشعتها الحارقة على ظهر السفينة ، لكن براون كان معتادا على ذلك
فقد أمضى سنتين فى المناطق الاستوائية جعلتا من مثل هذه الحرارة
المحرقة أمرا طبيعيا بالنسبة اليه .

ولم يكن أمام براون متسع من الوقت للتفكير اذ دخل عليه
الممرض الذى كان براون لا يزال يذكره منذ اليوم السابق . وتفتح
وجهه السمين ذو الملامح الألمانية عن ابتسامة عريضة وهو يرى براون
فى حالة طبيعية وقد تاب الى رشده ، ووضع ميزان الحرارة فى
فمه ، وابتسم مرة ثانية وهو يقرأ درجة الحرارة ثم يدونها على
البطاقة المعلقة على رأس سرير براون . وتحدث اليه فى لهجة
ودية ، وضحك حينما أدرك أن براون لم يفهم كلمة واحدة مما قاله .
وهيا الممرض لبراون كل سبل الراحة كما تفعل أية ممرضة قديرة
وربت على كتفيه وهو ينظر اليه نظرة تنم عن الود والصدقة ، ثم
تركه وعاد بعد دقائق بصحبة الطبيب الذى قال لبراون فى انجليزية
ركيكة وهو يقرأ درجة حرارته على البطاقة الخاصة بذلك :

— انك الآن أحسن حالا ، اليس كذلك ؟

ثم تناول رسغ براون بطريقة آلية ونظر الى ساعته وهو
يتحسس نبض براون ثم اوما قائلا :

— الا تشعر بأى ألم فى أى مكان من جسمك ؟

فأجاب براون :

— كلا ياسيدى . .

— اتشعر بأنك على مايرام ؟

— نعم ياسيدى . .

— يمكنك اذن أن تتناول افطارك .

ونحدث الطبيب الى الممرض الذى اختفى فجأة ، لكنه عاد
فى الحال وقد أحضر بعضا من الخبز والزبد والقهوة فالتهمها

براون جميعا • وحينما تركه الطبيب قدم له الممرض حزمة من الملابس النظيفة كانت تحتوى على قميص وسروال وحذاء وجوارب ، وقد كانت فى مجموعها تمثل زى البحار الالماني ، فارتداها براون وهو يشعر ببعض الضيق بسبب الاختلافات البسيطة بينه وبين زى البحار البريطانى . اما الممرض فكان لا يزال ينظر اليه وعلى وجهه ابتسامة ودية عريضة .

ومرت فترة الضحى ، ومر قائد السفينة ببراون فألقى عليه نظرة سريعة من عينيه الباردتين الشاردتين دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم اقتيد براون مرة ثانية الى حضرة القبطان الذى استجوب براون لكنه كان حريصا على الا يفشى بأية معلومات فكانت اجاباته دائما « لأعلم ، لا أعلم » . ولما كان من المحتمل الا يكون مجرد بحار أول على سفينة بسيطة على علم بأسرار حربية معينة فقد تخلى القبطان عن استجواب براون . وأوشك أن يطلق سراحه ، لكن الملائم أبدى اعتراضه ، وبعد أن تشاوروا معا أصدر قبطان حكمه ، ذلك الحكم الذى حدد مصير براون ومصير السفينة ، لكن أحدا لم يكن ليتنبأ بذلك حينئذ . وقد سمع براون بقرار القبطان فيما بعد حينما عاد الى غرفة المرضى اذ قال له الطبيب:

— سوف تساعدنا هنا . .

وحملق فيه براون دون أن يفهم شيئا ، لكن الطبيب راح يشرح له بطريقة أبوية:

— ماذا سنفعل بك هنا ؟ انضعك فى السجن ؟ ان السجن خطر فى هذه المناطق الاستوائية . . فى امكانك اذن البقاء وتساعدنا على العناية بأصدقائك ، ونحن ندرى أنك لن تهرب .

وضحك ملء شذقيه ، وأدرك براون أنه لم يعد سوى سجين فى يد الأعداء ، عاجز عن أن يفعل شيئا .

فهو عاجز عن أية وسيلة يستطيع أن يرد تسميثن عن رحلة الدمار التى تقوم بها ، فعندما سيتهى اصلاحها ستخرج الى المحيط

أكي تغرق السفن البريطانية وتأسر من فيها أسوة بما تقوم به السفينة
« إيمدن » .»

وقدر براون الحسائر التي يمكن أن يحدثها غرق السفينة تسيشن
بأنحو خمسة ملايين جنيه ، وسوف يضطر الى مشاهدتها وهي
تغرق في قلب المحيط ، ذلك ان لم يضعه الألمان على ظهر باخرة
تجابهة كي تعود به الى وطنه في الوقت الذي تكمل فيه تسيشن
وتحلتها المدمرة . . لم يكن بإمكانه ان يفعل أى شيء . . وأصابه العجز
والياس والوحدة بحالة قنوط مروعة لازمته خلال الأيام الثلاثة التي
قطعت فيها تسيشن طريقها الى جزيرة رزليوشن .»

الفصل السابع

جزر الجالاباغوس هي سلسلة من الجزر البركانية التي يقطعها لخط الاستواء وتقع على بعد مائة ميل من الساحل الأمريكي . وهي جزر مهجورة لاسكان عليها بسبب ندرة المياه ولانها بعيدة كل البعد عن الطرق التجارية المعروفة . وقد نمت عليها أنواع غريبة من النباتات والحيوانات تكاد تكون خاصة بها . وتعتبر جزيرة رزليوشن أكثر هذه الجزر انعزالا وأقلها زيارة من أحد ، اذ كانت فيما مضى فوحة لبركان انطفا منذ أكثر من ألف سنة ، ثم جرفها المحيط الهادى من جهة واحدة فبدت كحلقة غير كاملة من القمم الصخرية تتوسطها بحيرة يبلغ طولها نحو ميل واحد ، ويبلغ عمق مدخلها نحو سستين ياردة ، أما وسطها فهو بلا قرار . وعلى سطح الجزيرة انتشرت القمم الصخرية المدببة كأنها السكاكين وعلى سفحها انتشرت مختلف النباتات الشوكية .

وكانت نظرة واحدة من القبطان فون لوتز على المكان كقبلة باقناعه اقناعا تاما بأنه المرفأ الذى ينشده ، فقد كان أشبه بميناء مفلق سوف يصد الرياح على السفينة مما يهيم السبيل لاصلاحها وشقت السفينة طريقها الى البحيرة بحرص حيث لا توجد توجيهات بحرية سابقة خاصة بالملاحة الى جزيرة رزليوشن فبعث القبطان بقارب استكشاف تبعته السفينة ببطء . وقد ساعدتها حركة المد فجعلتها ترسو داخل البحيرة فى أمان . وكان الجو شديدا الحرارة ، غير انه لم يكن هناك مناص من احتمال تلك الحرارة فى سبيل اصلاح السفينة . وألقت السفينة مراسيها بجسوان

الجزيرة ؟ وقد حدث ذلك ببراعة فائقة فى الملاحه أدهشت
براون .

وما أن رست السفينة حتى انطلق بحارتها الى العمل فى نشاط
قريب ، فقد كانوا يدركون انه من الخطورة بمكان أن يتوانوا عن
الخروج من تلك المنطقة مهما كان انزعاجها ، وكان عليهم أن ينجزوا
أعمالهم فى الحال حتى تخرج من مخبئها وقد أصلح جانبها المحطم
وتكون على استعداد لمواجهة كافة الظروف التى ستعرض لها .
وانطلق القادون للعمل فراحوا ينظفون مخازن الفحم على الجانب
الأيمن للسفينة .

وقد راقب براون ذلك فى الوقت الذى فرضت عليه فيه
الحراسة . وعند المساء سمح له بالقيام بجولة على ظهر السفينة
بصحبة كبير الخدم البدين . . . والقى نظرة على قمم الجزيرة ، وخال
بخطره أنه لو تمكن عدو من السيطرة على تلك القمم لاستطاع
باستخدام بندقية واحدة أن يجعل تسيثن بكل ما عليها من رجال ،
عاجزة عن مجابهته ، إذ يمكن اكتساح كل من على ظهر السفينة ،
وكذلك الفرقة التى تقوم بإصلاحها ، وبذلك يتأخر حتما إصلاح
السفينة مما يؤدى بها إما للفرق أو اللجوء الى مرفأ آخر لإصلاحها
مع العلم بأن المرافئ المشابهة لجزيرة رزليوشن تعد نادرة للغاية .

ورمق القمم بانتباه مرة ثانية ، فوجد أنها على مبعده ربع ميل
على الأكثر ، وهو مالا يزيد فى الواقع عن مرمى بندقية صغيرة . .
وقفزت الى رأسه فكرة ، وهو يحس بالدم الحار يضرب فى عروقه
وتحول عن مرافقه البدين خشية أن يلمح عليه شيئا لكنه حاول
النظر الى القمم العالية وهو يرسم فى رأسه تفاصيل خطته ، باحثا
هما فيها من أخطاء ، ومتدبرا مايمكن أن ينتج عنها . . لكنه لم يجد
فيها أية أخطاء بل انه تنبأ بنتائج مذهلة فقد وصلت أخبار غرق
البريدس الى كثير من السفن البريطانية ولاشك أن هذه السفن
قد شقت طريقها وقتئذ للبحث عن تسيثن ، وأنه كلما زاد تأخرها
فى المحيط زادت فرصة الحصول عليها . وأدرك براون أن هذا

العمل قد يكلفه حياته لكنه على استعداد لدفع هذا الثمن .. أن نلسون وبليك ودريك قد فقدوا أرواحهم في حروب أخرى .. ورغم أن رعشة خفيفة سرت في بدنه حينما خطرت له فكرة الموت ، فالموت في سن العشرين أمر يصعب احتماله ، إلا أن تلك الرعشة لم تفت من عزمه أو تؤثر على خطته .

وكان هرب براون من على السفينة أمرا غاية في البساطة؛ ذلك لأن احدا لم يتوقع له أن يفكر في الهرب ، فمن ذا على وجه الأرض يرمى بنفسه الى الموت على جزيرة جرداء لاماء فيها ، فضلا عن أن هربه سيبدو في أول الأمر مما يبعث الراحة في قلوب المستولين عن السفينة ؛ فأسرى الحرب لا مكان لهم على سفينة مهمتها الاغارة، وكى يمكن المحافظة على سلامتهم فيجب معاملتهم بشدة ، ولم يرغب احد على السفينة في معاملة براون بشدة .

وعلى نهاية الممر الممتد امام غرفة المرضى لمح براون رفا للاسلحة به اثنتا عشرة بندقية ، وفوقها معداتها اللازمة لها .. ذلك أن تسيثن بوصفها سفينة للاغارة كان عليها الاستعداد في أية لحظة لارسال فرقة مسلحة ، وهى اما أن تكون فرقة استكشاف ارضية او فرقة استكشاف للسفن التى تسطو عليها . وكانت البنادق والذخيرة معدة للاستعمال . وكثيرا ما لمح براون لمحا عابرا ، لكنه فى هذه المرة فتح باب المخزن وتسلسل اليه بهدوء وراح يفحص البنادق بدقة ، وكانت مزينة بزيت كثير فذلك امر ضرورى فى المناطق الاسنوائية . وتحسسى اكياس الذخيرة فوجدها مليئة عن آخرها ، ويحتوى كل منها على ستين طلقة .. وكانت هناك أيضا بعض الحوافظ الجلدية التى تحتوى على مقسّر يومى من الذخيرة يستعمل فى حالة الطوارئ .. أما زجاجات الماء فكانت فارغة والتقط براون زجاجتين وانسل الى غرفته فملاهما ، وأغلقهما بإحكام .. وأرهف السمع .. لم يكن هناك أحد على وشك القدوم ، فشق طريقه عائدا الى مخزن الاسلحة ، فوضع الزجاجتين فى مكانهما من حزام الذخيرة . وأفرغ بعض اكياس الذخيرة فى جيوبه كما أفرغ بعضا من الذخيرة الاحتياطية فى الكيس الذى عزم على



حمله معه .. وكانت استعداداته على خير مايرام .. وقال لنفسه أنه اذا لم يستطع متاوشة تسيثن لمدة اسبوع كامل وقد زود نفسه بالماء والغذاء الكافى ليومين ، وبكمية من الذخيرة كافية للقيام بمائة وعشرين جولة فان ذلك سيكون أمرا يدهش له كثيرا ..

وإذا كان الاستعداد للهرب أمرا هينا فقد كان الوصول الى جزيرة رزليوشن في حد ذاته أمرا صعبا .. وأدرك براون أن خطته قد تفشل في هذه النقطة وأن اكتشاف خطته يعنى تعرضه لعقوبة السجن ، ويعنى نهاية كل آماله .. لكنها كانت مجازفة يجب مواجهتها .. ووازن فرص الكسب والخسارة وقرر في النهاية أن النجاح قد يحالفه اذ لايتطلب الامر سوى أعصاب باردة وحظ طيب .

وخيم الظلام خارج السفينة لكن القمر لم يكن قد اعتلى بعد قمة الجزيرة كى يلقى بضوئه على البحيرة .. ورفع براون كل ما أعده من ذخيرة وحملها على كتفيه ، حازما ايها على صدره .. والتقط بندقية ، فوضعها على كتفه ثم انسل الى الممر .. وفى غضون خمس ثوان كان قابعا تحت قوارب الانقاذ التى كانت معلقة على حواملها دون أن يلحظ الحفير المنوط أو الحرس المسلح أو أى عابر آخر .. وراح يستعد بسرعة للقيام بالخطوة التالية ،

وقطع أربعة غطاء القارب بمطواه ثم سحب منه بعد قليل من البحث ، حزامين للنجاة من الأحزمة التى كانت معدة هناك - وربط أحدهما على بندقيته بإحكام فقد أدرك أنه سيفشل فى مهمته فشلا ذريعا اذا ماقررت بندقيته فوصل الى الجزيرة بلا سلاح .. وربط الحزام الآخر على جسمه ونزل الى الماء فى ببطء . وكان الماء دافئا .. وشق طريقه الى مؤخرة السفينة بثبات وصبر حتى ابتعد عنهادون أن يشعر به أحد .. وبعد نصف ساعة حملته ضرباته القوية البطيئة الى الجانب الآخر للبحيرة .. وكان عليه أن يسبح لمدة عشر دقائق أخرى بمحاذاة هذا الجانب قبل أن يكتشف تحت ضوء القمر الخافت جزءا بارزا من الشاطئ يمكنه من الصعود الى الجزيرة ، وفك حزامى النجاة والتقى بهما وسط أشجار التنين الشهيرة ، وثبت

ذخيره على جسده باحكام ووجد نفسه فى مواجهة السفح الذى يكاد أن يكون عموديا .

ولم يكن براون يعرف شيئا عن طبيعة جزر الجالاباغوس بل انه لم يكن يعلم انه على احداها . . ولذا فقد تطلب منه تسلق ذلك المنحدر مجهودا عظيما فالجزيرة تتكون من كتل بركانية ملتصقة ببعضها البعض وقد نما عليها التين الشوكى ، وكان التقدم لمسافة ياردة واحدة كفيلا باحداث جروح عميقة فى اليدين والرجلين ونمزيق الملابس ، نظرا لسطح الجزيرة ذى الحواف المدببة والذى تنتشر النباتات الشوكية فى كل مكان فيه . . وبعد أن تقدم براون خمسين ياردة خدر الالم عقله وبدنه لكنه واصل الزحف دونما كلل وفى خلال ذلك خطر له خاطر طرب له فؤاده المتعب ، ذلك انه اذا اكتشف امره الآن وقامت فرقة ارضية بمهاجمته فسوف يتمكن ببندقيته من صد رجالها . . وشق طريقه الى القمة وهو يلهث من التعب ، يتحسس فى ظلمة الليل مكانا ليده او لقدمه ، حتى وصل الى صخرة ادرك بفطرته انها ستكون موقعا استراتيجيا ممتازا واستلقى بجسده على الأرض وقد وضع ببندقيته بجانبه ، منتظرا طلوع الفجر . . وأطبق عليه نوم عميق ، اثر ما بذله من مجهود عظيم ، وقد ولى وجهه ناحية الأرض وأسند رأسه على ذراعيه .

الفصل الثامن

ولكن فى الوقت الذى كان براون يزحف فيه على سفح جزيرة
وزليوشن الشديد الانحدار ، وبينما كان ينام فى حوض الصخرة
التي اختارها لنفسه موقعا ، حدثت أشياء كثيرة ، فقد وصلت
للسفينة تسيثن عن طريق اللاسلكى أنباء خطيرة من محطات الارسال
الأمريكية . . وحمل الأثر فى شرقى المحيط الهادى كثيرا من الأنباء
المثيرة ، فقد تمكن فون سبى من أن يضرب ضربته الأولى ضد
حلقة الأعداء التي أطبقت عليه ، وذلك حينما نازله أمير البحر السير
أكريستوفر كرادوك بسفينتين حربيتين صغيرتين بينما كان فون سبى
على رأس سفينتين قويتين ولم يكن حظ أمير البحر أحسن حالا من
حظ شريبدس حينما التقت بالسفينة تسيثن . وغرقت سفينته
« جود هوب » و « مونماوث » بكل ماعليهما تحت طلاقات مدافع
« شارنهورست » « وجنايزناو » ، وحينئذ أصبح فوق سبى سيدا
لساحل جنوب الباسيفيك . .

واحتجبت سفن النترات التي كانت بريطانيا فى حاجة ماسة
اليها لتصنيع المتفجرات فى موانئ شيلى بينما حكم فون سبى
البحر بما غدا له من هيبة وسلطان . . وراحت البحرية البريطانية
تبحث عن حل سريع للمء الفجوة التي أحدثها فون سبى فى الحلقة
التي أحاطوه بها . . وأدرك القبطان فون لوتز ذلك عن طريق اللاسلكى
مما أشعل فى قلبه الحماسة وراح يشرف على اجراءات اصلاح
السفينة بصبر نافذ ، حيث أدرك أنه لايجب التواني لحظة واحدة .
وكان يدرك فى أعماقه أنه ليس هناك من سبب يضطهرهم لذلك . .
وساوده الاعتقاد بأن ترميم السفينة لن يستغرق أكثر من اثنتى
هشرة ساعة ، وتعود تسيثن الى المحيط مرة ثانية كى تعلن على الملأ:

انتصارها على شرييدس وكى تخبر العميل السرى لألمانيا فى
« بيرو » بحاجتها الماسة للوقود .

وغرق القبطان فون لوتز فى توقعاته السارة حتى أن نبأ هرب
الأسير الانجليزى باحدى البنادق لم يسبب له أى قلق ، اذ رأى أن
هربه لن يضره بشئ ، وأصابته الدهشة لاهتمام براون بتسليح
نفسه وهو يدري أنهم لن يحملوا أنفسهم عبء مطاردته . . واكتفى
قائد السفينة بوضع من كانوا مكلفين بحراسته فى السجن لأسباب
نظامية محضة .

واستيقظ براون مع الخيوط الاولى للفجر . . كان فى حالة
شديدة من التعب والألم والعطش ، لكنه اكتفى بجرتين فقط من
الماء . . وتفحص بندقيته فوجد أن الزيت قد حماها من البلى وبذلك
لم يلمح عليها أية آثار للصدأ . وراح ينظفها ويعدها للاستعمال
ولم يكن قد استعمل من قبل بندقية من طراز « موزار » لكنه
كانت سهلة الاستعمال فضلا عن أنه شاهد استعمالها كثيرا . . وملا
خزانة الأسلحة بالرصاص واستلقى على الأرض مستعدا للعمل .

وعلى بعد نحو ربع ميل أسفله بدت تسين فى وسط البحيرة
بلا حراك كأنها سفينة للموتى ، حتى مداخنها لم تكن تبعث إلا
بفلاوات بسيطة من الدخان تدل على مايدور بداخلها من نشاط . .
وحيثما زاد ضوء النهار استطاع براون أن يلمح عددا من الأشخاص
على ظهر السفينة . . وأمسك ببندقيته وهو يركز بصره على كل
منهم على حدة ، ممتنعا عن إطلاق النار ، فقد شاء أن يستغل
كل رصاصة أحسن استغلال . . وفيما بعد رفرف العلم على السفينة
مؤذنا ببدء العمل عليها ، وتزايد النشاط على الجانب الأيمن حيث
يقوم العمال بترميم الثقب الكبير الذى أحدثه شرييدس . . وعلى
جانبى الثقب أنزل مقعدان ، نزل أثرهما اثنان من المهندسين
على سلم بحرى فى زبىهما الأبيض اللون . . وكانت خطة العمل هى
إزالة الألواح الحديدية المحطمة فى الوقت الذى تعد فيه الألواح
الجديدة . وثبت براون ببندقيته فى كتفه وأسند خده على مؤخرتها
واستعد للعمل .

وخلال الفترة القصيرة التي كان يحاول فيها اتخاذ الهدف
بجالت براسه آلاف الأفكار ، فاذا لم يضغط على الزناد فانهم لن يبحثوا
عنه ، وسوف ينتهى ترميم السفينة ثم تفسد الجزيرة ، ويبقى
هو حرا ، وتستنح امامه الفرصة لأن تلتقطه أية سفينة عابرة
وتعيده الى وطنه ، أما اذا ما اطلق النار وقتل واحدا من بحارة
السفينة فسيصبح المئات من البحارة الالمانيين اعداءه اللدودين ،
ويدفعهم غضبهم الى قتله .

ها هو الموت يتربص به فى ناحية وها هى الحرية فى انتظاره
فى ناحية أخرى . . . انه اختيار خطير الشأن ربما تحتم على براون
أن يتردد فى اتخاذ قرار بشأنه لكنه لم يتردد البتة بل انه لم يتمهل
لحظة ليفكر فى الاختيار ، فقد اتخذ قراره فى الليلة الماضية
وحيثما يتخذ رجل مثله قرارا فليست هناك فسحة للتردد .

وانضحت له الرؤية شيئا فشيئا . . وصوب بندقيته ناحية
الجانب الايمن للسفينة حيث يقوم العمل على قدم وساق . .
وانطلقت نيرانها فأحدث صداها دويا عظيما تردد فى أنحاء الجزيرة
. . وسقط كبير المهندسين معلقا على مقعده الذى يرتفع بجوار
الجانب الايمن للسفينة . . وفى ذات اللحظة صوب براون هدفه
مرة أخرى فى سرعة وهدوء واطلق النار على الرجل الآخر فأرداه
قتيلا فى اللحظة التى استدار فيها ليرى ماذا حدث اثر الطلقة
الاولى . . وسقط رجل ثالث تلاه رابع أصابه الرعب فهرع الى
السلم البحرى . . واطلق براون ثلاث رصاصات أخرى على جماعة
الرجال الذين تجمعوا على ظهر السفينة من ناحية الجانب الايمن
حبا للاستطلاع . . وفى ثوانى قليلة خلا ظهر السفينة من كل نفس ،
على قدر ما يرى براون . . وكانت السفينة تتأرجح فى ببطء وقد
أرست مراسيها ، وبدت فى لون كالح مقبض ، ومدافعها الخرساء
تبرز الى الامام فى شكل مطبق .

وكان ذلك مشهدا رائعا يدل على قوة الآلات الحديثة وعلى
عجزها فى ذلك الوقت ، فقد وقفت تسيثن بمدافعها ذات العيار
6 بوصة وبمئات البحارة عليها ، وبقوتها التى تبلغ قوة آلاف
الأحصنة ، فى جانب ، وفى الجانب الآخر شاب طوله خمس أقدام

يبلغ من العمر عشرين عاما ؟ ويسيطر على السفينة بقوته وعزيمته .
 لكن براون كان قويا بفضل بندقيته ، تلك الآلة البسيطة المنمقة التي
 اخترعها الانسان ، وقد غمرت البندقية فيما مضى مجرى التاريخ ؟
 ورغم أن براون لم يكن هدافا ماهرا الا أن اصابة أربعة رجال بأربع
 رصاصات وعلى مبعده ربع ميل فقط منه انما هي أمر ليس بالغريب في
 عالم الرماية . . لكن براون كان قادرا على استعمال سلاحه ببراعة
 كافية ، وكان هذا كل ما تتطلبه منه بندقيته الصغيرة . وكسبت
 براون جولته الاولى واستلقى خلف صخرته منتظرا الخطوة التالية
 . . وظهرت راس خلف المدخنة الامامية للسفينة وأطلق عليها براون
 النار سريعا لكنه أخطأ الهدف فشعر بعدم الرضا .

وعلى ظهر السفينة انتشر الضيق من ذلك الحادث المقلق ؟
 فاربما كان من الممكن ان يظل الأمر مجرد مضايقة بسيطة لولا أن
 راح ضحيته أربعة رجال . . ولولا الغضب الذي اثاره موت هؤلاء
 الرجال بين اصدقائهم ورفقائهم لكان كل ما نتج عن الحادث مجرد
 الدهشة العميقة تجاه ذلك الرجل الذي جرؤ على الوقوف ضد
 سفينة مسلحة ، والاسف على التأخر في اصلاح السفينة .

ومن كوات السفينة وثقوبها راحوا يرقبون قمم الجزيرة بقلق
 محاولين رؤية ذلك الانجليزى المجنون الذى تصرف بطريقة غريبة .
 وخطا القبطان فون لوتز ، وكان أكثر الجميع غضبا ، ناحية القنطرة
 لكن رصاصة مدوية مرقت بجانب اذنه . حتى القبطان فون لوتز
 الذى يعد من اذكى القواد فى البحرية الألمانية والذي يتنبأ له
 منصب قيادى عظيم فى المستقبل القريب حتى هو ، لم يدرك صعوبة
 المهمة التى يواجهها لكنه أصدر أوامر قاطعة بأعداد القارب البخارى
 . كى تستعين به فرقة ارضية فى القبض على ذلك الرجل المشاغب
 واحضاره الى السفينة للنظر فى أمره .

واستلقى براون فى مخبئه فى صبر . . وكان يتحكم من مكانه
 هذا فى مؤخرة السفينة وفى جانبيها الأيمن ، وقد صوب بندقيته
 ما بين كتلتين من كتل الصخور البركانية التى كانت تحميه تماما ؟
 وكان نبات التين الشوكى الذى يتعالى فوق هذا امامه من الصخور

صناراً كافياً لحمايته .. وأحسن بالرضا الكامل من موقعه .. ووجد أن خزانة الأسلحة لا تزال مليئة .. واستسلم للشمس الحارقة التي انعكست حرارتها على الصخور العارية فكانت تشويه شياً .

وفجأة ظهرت بوادر الخطوة التالية ، فقد ظهر القارب البخارى بجوار مؤخرة السفينة ، شاقاً طريقه ببطء تجاه الشاطئ وعليه عشرون رجلاً .. وأعمل براون بندقيته بسرعة مسقطاً عدداً كبيراً من الضحايا قبل أن يتمكنوا من الاختباء .. وسقط الرجل المسك بدفة القارب اثر رصاصة اخترقت صدره ، لكن الضابط المنوط بالقيادة التي كانت النجوم الذهبية تلمع على صدره الناصعة البياض استطاع أن يحفظ توازن القارب قبل أن يخرج عن طريقه فى اللحظة التي اخترقت فيها رصاصة براون قبعته العسكرية فأطاحت بها .. واختفى القارب فى ثانية على حافة البحيرة تحت الصخور النائية وحشاً براون بندقيته مرة ثانية ..

وأدرك الضابط المنوط بقيادة الفرقة الأرضية لحظة امساكه بدفة القارب أن الأمر لن يكون كما تصور مجرد القبض على شخص لا حول له ولا قوة .. وأدرك أن رجلاً واحداً يستطيع من على مبعدة مائة ياردة أن يحصد عدداً كبيراً من آية فرقة من الرجال تندفع نحوه .. فضلاً عن أنه تلقن درساً آخر سيرد ذكره فى حينه .. أما الآن ، فقد قام بالترتيبات التي بدت مرضية بالنسبة له ، فمنع رجاله من الاندفاع من القارب دفعة واحدة نحو سفح الجزيرة .. وأمرهم بأن ينتشروا على مسافة خمسين ياردة تحت الصخور التي كانت تحميهم .. وتأكد من أن جميع بنادقهم محشوة .. وحينما أطمأن الى أن كلا منهم اتخذ مكانه أصدر أمره بالهجوم .

وهنا بدأ الدرس الثانى .. فحينما أمر القائد بالهجوم صائحا : أهجم .. لم يكن يدرى أن هذه الكلمة ليس لها مكان على سفح هذه الجزيرة ، فقد حالت الصخور المدببة ونباتات التين الشوكى الكثيفة دون التقدم السريع ، فان أكثر الرجال نشاطاً لا يمكنه التقدم على جزيرة رزليوشن بأكثر مما يتحرك ثعبان فى حديقة كما اكتشف براون فى الليلة الماضية .

أما براون فقد لح من مكانه خلف الصخرة عددا من الرؤوس تبرز قرب مستوى المياه ، فأطلق النار على أحداها . . فأقدم بقية الرجال نحوه وهم يختفون خلف كتل الصخور البركانية ، مقتربين منه بسرعة بطيئة مثيرة للسخرية . . وحيث أن بدن الرجل يعد هدفا كبيرا على بعد مائة ياردة فقد أطلق براون ست رصاصات سقط أثرها ستة رجال قبل أن يصبح الأمر بالهجوم فى حكم المنتهى . . فلم يكن بمستطاع رجل يرى رفاقه يسقطون حوله واحدا اثر الآخر أن يرفع رأسه ويعرض نفسه للطلقة التالية . واختفى بقية الرجال خلف الحاجز الذى تصادف وجوده امامهم ، واستلقوا دون بذل أية محاولة للتقدم . . ودفعوا ببنادقهم الى الامام وراحوا يطلقون النار على ذلك الموت الذى يقبع فوقهم دون أن يراه احد منهم . . وحطمت اصوات اطلاق النار المتتالية هدوء الجزيرة وسكونها .

لقد كان كل شيء حتى الآن فى صالح براون ، فلم يعرف احد من رجال الفرقة الأرضية مخبأه ، وكان الفضل فى ذلك لسكتل' الصخور البركانية ونبات التين الشوكى الذى كان ينمو كثيفا على سطح الجزيرة . . لقد كان براون مختبئا تماما ، وكان فى مكانه العالى يسيطر على سطح الجزيرة بأكمله ، وامامه عدد كبير من الاعداء احتلوا مكانهم امام عينيه بمحض المصادفة وتحت الشمس الحارقة . . وأدرك براون الخطر الذى وصل اليه أعداؤه وكان زينا ، لم يسبب له الجهد الذى بذله أى خوف أو اضطراب

وبدأت الطلقات تدوى فوق رأسه فى الهواء اللافح مخلفة غلالة ترابية أثر اصطدامها بالصخور ، أو مخترقة طريقها خلال أوراق التين الشوكى السمكية . وكانت كلها بعيدة عن براون حتى أن أحداها لم تصل الى مرمى عشر ياردات منه . وبدأ براون مرة ثانية يحصد مهاجميه وأصابه باردة كالثلج . وكان يصوب بندقيته نحو ما يظهر من أجساد مهاجميه ، فحينما تظهر كتف وحينما تظهر ساق وحينما ثالثا يظهر الجزء الأعلى من الجسم بأكمله فيطلق براون النار ثم يصوب بندقيته على هدف جديد وهو قابض فى

مكانه حريض على الا يعرض نفسه لهم .. وكانت كل طلقة يملا صداها أرجاء الجزيرة كلها ، لذا فقد كان من الصعب تحديده مكانه بناء على صوت طلقاته .

وارتبى الجرحى فوق الصخور وهم يتأهون من الألم ، كما استلقى الموتى على وجوههم وهم يمسون بنادقهم .. ولم يجرؤ الآخرون على اطلاق النار مرة ثانية ، لكنهم قبعوا فى الأماكن التى تصادف وجودهم خلفها ، وجلين من التحرك خشية أن يبعث عدوهم المزعج بطلقاته فيحصلهم حصدا .. وتوقف اطلاق النار ونهض الضابط على قدميه وقد استشاط غضبا ، يصيح فى رجاله وتلقى فى وجهه طلقة أردته على ظهره قتيلاً بين نباتات التين الشوكي الكثيفة .. وخيم السكون مرة ثانية .. ونفخ براون فى ماسورة بندقيته بهدوء .. وراح ينتظر أية اشارة تدل على أن أحدا من أعدائه ربما يحاول أن يزحف على الجزيرة حتى يصل إليه . ومرت ساعة لم يحدث خلالها شيء سوى أن أحد المهاجمين التمسأ مد ساقه فى محاولة للاسترخاء غير أن رصاصة أصابته فى ركبته فسلبته دم الحياة فى غضون نصف ساعة .

وحل السكون على الجزيرة بعد أن توقف اطلاق النار من كلا الطرفين ، وكانت الشمس ترتفع فى ثبات وهى تصب أشعتها المحرقة على الصخور . وكان الماء فى البحيرة أزرق صافيا ، وقد توسطته السفينة مرسية مراسيها .. وتغير الحال على سطح الجزيرة بفعل تلك الحرارة القاسية ، ومرت الدقائق كأنها الساعات لكن البحارة التمسأ لم يجرؤوا على التحرك ولا تزال تأوهات رفاقهم الجرحى ترن فى أذانهم .

وأصابت الحيرة كل من على السفينة لما حدث على الجزيرة .. فقد شاهدوا الفرقة الأرضية وهى تعتلى سطح الجزيرة ، وشاهدوا الرجال وهم يسقطون وسمعوا اطلاق النيران بتزايد فجأة ثم ينتهى الى لا شيء لكنهم لم يتمكنوا من تفسير اية نتيجة لذلك .. وهم لا يزالوا يرون القارب بجوار الشاطئ وقد جلس به حارسه لكنهم لم يشاهدوا أحدا من الفرقة الأرضية بصرف النظر من

عن بعض الضحايا الذين تناثرت جثثهم على سفح الجزيرة المليء
بالأشواك والصخور .. وخيل للمستولين على ظهر السفينة ان
الهجوم قد وصل الى مكان بعيد من الجزيرة وان ذلك ربما يرجع
الى مطاردة المهاجمين للجندى الهارب ، وبذلك يتلاشى الخطر
المحتمل بالعمال الذين يصلحون جانب السفينة المحطم ..

وأصدر القبطان فون لوتز الذى تملكه القلق ونفاد الصبر
والرغبة فى اعداد السفينة للعمل مرة ثانية ، أصدر أوامره فجأة
بأن تبدأ جماعة جديدة من العمال فى اصلاح السفينة .

ورأى براون ، من مكانه خلف الصخرة ، العمال ذوى السترات
البيضاء وهم ينزلون على السلم البحرى تجاه الجزء المحطم من
جانب السفينة الأيمن ، وترك لهم فسحة من الوقت حيث أرسلوا
جثث من سبقوهم ثم بدءوا العمل .. وفى تلك اللحظة أطلق
عليهم النار ، ومرة ثانية انتشر صدى الطلقات فى أنحاء الجزيرة ،
وقد أيقظت الطلقات المفاجئة بقية رجال الفرقة الأرضية من
سباتهم ، وكان التعب قد ألم بهم ، وتملكهم الشعور بالذنب نتيجة
لفشلهم فى مهمتهم فحملوا بنادقهم مرة ثانية وكون أحدهم فكرة
من المكان الذى يختبئ فيه براون وراح يهيل الرصاص تجاهه
حتى أن إحدى تلك الطلقات أثارت القبار فى وجه براون . وتيقن
براون من الخطر المترص به ، فلم يحفل كثيرا بما يطلقه عليه
الآخرون من رصاص وحملق خلال الفجوة الرقيقة التى تفصل بين
الصخرتين اللتين يختفى خلفهما محاولا معرفة ذلك العدو الماهر
الخارق الذكاء ..

وأخيرا وقع بصره عليه أو على جزء منه على الأقل ، وكان
لا يزال يطلق النار على مكان براون بحاسة شديدة وفى كل مرة
تدوى الطلقة على مقربة منه .. وربما أحس براون بالأسف
وهو يصوب بندقيته نحو ذلك الجندى الذى لم يكن على مسافة
أكثر من مائة ياردة منه ، وكان مؤكدا أنه سيصيبه ، وحالما أطلق
براون النار عليه حتى رآه يتهاوى ويسقط الى الخلف . كان فتى
ناعم الشعر ، لا يختلف كثيرا عن براون نفسه ، وكان يحاول

بجاهدا أن يمسك بيده اليسرى كتفه الأيمن الذى مزقته الرصاصة
وسال الدم بين يديه ووجهه يتقلص من شدة الألم .

ولم يأبه براون لحظتها للأمر كثيرا وحوو انتباهه الى الآخرين
الذين كانت تنصب طلقاتهم على مبعدة عشرين ياردة من كل من
بجانييه . . وسقط واحد منهم عرض نفسه للطلقات رغما عنه . .
وتوقف الآخرون فجأة عن اطلاق النار ، وانكمشوا فى جحورهم . .
وفى تلك اللحظة شاهد براون حارس القارب وقد تملكه حب الاستطلاع
فوقف محاولا استطلاع ما يجرى فرفع رأسه وكتفيه الى اعلى
من مستوى الصخور المتوازية لمستوى البحيرة فأطلق براون النار
عليه وارداه قتيلا دونما رحمة أو تردد . .

وكان الوقت قد اقترب من الظهيرة . . وبذلك فقد أخرج
براون تصليح السفينة لمدة ست ساعات . . وكان ذلك فى حد
ذاته عملا عظيما . .

الفصل التاسع

اثبت الحدث التالى فى المعركة التى دارت رحاها على جزيرة
ووليوشن قوة براون ، وقوة البندقية الملتهبة بين يديه . . فعلى
مؤخرة السفينة ظهر نفر من الناس راحوا يلوحون بعض الوقت
بشيء ابيض اللون ثم نزل رجلان على السلم البحرى المثبت على
جانب السفينة المحطم . . وقد ايقن براون رغم بعدهما عنه ان
أحدهما هو الطبيب الذى عامله برقة متناهية حتى أنه مزح معه
ذات مرة باحدى النكات . . وكان براون حينئذ متصلب الراى مكر
الزاج فصوب بندقيته نحو الطبيب لكنه سرعان ما تذكر العلم
الابيض الذين لوحوا له به فامتنع عن اطلاق النار . . وانحنى
الرجلان على الجرحى المتهاكين على المقاعد المعلقة بجوار السفينة
فأسعفوهم بالعلاج اللازم ، وسرعان ما رفع الجرحى الى سطح
السفينة ، وصعد الرجلان خلفهما .

وفى ذلك الوقت حدثت ضجة مفاجئة أسفل السفح ، فقد
بلغ التعب مبلغه بأحد الباقين من رجال الفرقة الارضية ، فلم يعد
يتحمل حرارة الشمس اللافحة او البقاء على سفح الجزيرة الصخرى
أكثر من ذلك . ولما كان اقرب زملائه الى سطح المياه فقد رمى بنفسه
فجأة وراح يتدحرج فوق الصخور مصطدما بالأشجار الشوكية التى
كانت تنتزع قطعاً من جلده وملابسه حتى ألقي بنفسه فى الماء ،
وأطلقت رصاصة من بندقية براون فمزقت فى طريقها قطعة من
أذنه لكنه فى حمى وجهه ورعبة لم يشعر بذلك .

وانتقلت عدواه الى بقية زملائه الذين اتقوا بانفسهم من قمة السفح ، فاصاب براون احدهم في ظهره ، لكن اثنين آخرين وصلا الى الماء بسلام الا من بعض الخدوش والكدمات ^(١٢٥) وبذلك كان هناك ثلاثة رجال يقبعون بداخل القارب البخارى وهم الرجال الثلاثة الذين لم يصابوا بجراح من كل رجال الفرقة الأرضية ذات الواحد والعشرين رجلا ^(١٢٦) وكان مظهرهم يغنى عن السؤال عما حدث لهم على سفح الجزيرة ^(١٢٧) وتصاعدت من سفارة اندان السفينة نداءات متتالية تطالبهم بسرعة العودة الى السفينة لاستجوابهم ^(١٢٨) ولحسن حظهم كانت اجابة كل الاسئلة بسيطة مقتضية ^(١٢٩)

— أين بقية افراد الفرقة الأرضية ؟

— ماتوا ^(١٣٠)

— أين الضابط شترومر ؟

— مات ^(١٣١)

— كم رجلا واجهكم ؟

— واحد ^(١٣٢)

— أين السجين الهارب ؟

— على قمة الصخور ^(١٣٣)

وتوالت مثل هذه الاجابات العاجزة التى لا تدل على شيء : « انه مختبئ » ، « لا ندرى أين » ، « فى ذات المكان الذى كان به من قبل الصباح » . وجن جنان القبطان فون لوتز وراح الضباط يمسحون سطح الجزيرة بنظاراتهم المكبرة لكن لم تكن هناك فرصة واحدة للعثور على براون ^(١٣٤) وهاج البحارة جميعا حينما علموا بمقتل غالبية افراد الفرقة الأرضية ، وضاقوا ذرعا بضباطهم ، وتمطشوا لدم ذلك الرجل الذى الحق العار بسفينتهم ^(١٣٥) وعلم فون لوتز

بذلك . لقد أزال هرب براون كل الأثر الطيب الذي أحدثه
انتصارهم على السفينة شرييدس . . ولن يعيد لهم هذا الشعور
الطيب سوى موته . . وأدرك فون لوتز وجوب انتشار الشعور
الطيب بين بحارة السفينة خاصة وأنهم على وشك البدء فى رحلة
طويلة قد تنتظرهم الهزيمة أو الدمار فى نهايتها . فضلا عن أنه
يجب أن لا يظل رجاله بلا عمل . . ولذا فقد أصدر أوامره بأن تنزل
الى الجزيرة أكبر فرقة أرضية يمكن أن تقدمها السفينة دون أن
تحدث خللا بعدد بحارتها ، وكانت مائتى رجل . وسرت موجة من
القبطة فى أرجاء السفينة .

وقرر القبطان أن يستمر تصليح السفينة فى الوقت نفسه فأمّن
الضابط الاختص بأن يرتب عددا من الجنود على شكل ستارة تحمى
العاملين على السطح المحطم بحيث تحجبهم عن الجندى الهارب على
قمة الصخور . . وراحت فرقة من العمال تعد العدة للعمل فى
اصلاح السفينة ، فى الوقت الذى استغرق فيه القبطان وضباطه
فى وضع خطة للهجوم على براون لوضع حدا لما يسببه من متاعب .
وقرروا ألا تتكرر الأخطاء التى حدثت فى الصباح حيث اندفع عدد
قلييل من الرجال على السفح الذى يستحيل تسلقه فى مواجهة
سلاح مستعد . للافاتهم واحدا اثر الآخر .

وأعدت حملة منظمة تنظيما كاملا . وكان على جميع الرجال
أن يحملوا معهم الطعام والشراب . . وقسموا الى عدد من الفرق
الأرضية اختصت كل منها بجزء من الجزيرة وكان على هؤلاء
الرجال أن يرغموا براون أولا على التحرك والظهور ثم يهاجمونه بعد
ذلك . . وكان على حملة البنادق على قمم الصخور أن يراقبوه
مراقبة دقيقة وأن تستمر عملية البحث عنه طول الليل لو تطلب
الامر ذلك . . وفى حالة القبض عليه أو قتله تبلغ قيادة السفينة
بذلك فورا عن طريق اللاسلكى أو الاشارات الخاصة حتى يمكن
استدعاء الفرق الأرضية الى السفينة فورا . . وأعدت كل

الاستعدادات الممكنة تقريبا .. لكن نقطة الضعف الوحيدة فى الخطة هى ان واضعها كانوا لا يزالون يجهلون صعوبة التحرك على الجزيرة .

وشعر براون - الذى كان الوقت يمر عليه ثقيلًا - بالنشاط الكبير الذى بدأ يدب على ظهر السفينة اذ بدأ بعض الرجال يظهرون هنا وهناك محاولين على قدر امكانهم عدم تعريض انفسهم له وكان براون يطلق عليهم النار كلما سنحت له الفرصة مما جعلهم جميعا فى عجلة من امرهم .. واصاب اربعة رجال على الأقل وقد سقطوا على السطح العلوى للسفينة بعضهم فاقد الحركة وبعضهم يزحف ياحثا عن ملجأ .. وكان بعض الرجال يطلقون النار على براون من داخل السفينة وهم لا يعرفون له مكانا ..

وانطلقت من خلف السفينة اربعة قوارب مكتظة بالرجال يقودها القارب البخارى . وفى الوقت نفسه انطلقت من السفينة جلبة طلقات نارية متتالية ، وادرك براون ان هناك خطرا جديدا يتعرض له ، فقد وضع مدفعان رشاشان على مقدمة السفينة المواجهة له ، يرميان بوابل من رصاصهما فوق الصخور ، فيشير الرصاص القبار الى كل مكان ، ويتساقط التين الشوكى هنا وهناك فى الوقت الذى يخترق فيه الرصاص جلدوع أشجاره الطرية .. وتحت هذا الوابل من الرصاص اضطر براون الى التفكير بسرعة ووضوح اذ وجد انه لن يكون بإمكانه ان يفعل الكثير يلوّقف زحف هذه القوارب الاربعة فقتل عدد من الرجال ان يوقفهم جميعا ، فضلا عن انه اذا ما شاء ان يجيد التصويب نحوهم فقد يعرض نفسه لذلك الوابل من الرصاص ولن تكون المجازفة بذلك جديرة بالنتيجة التى سيحصل عليها .. فيقبع خلف الصخرتين المتلاحمتين اللتين ادما دورهما على خير وجه .

وحينما انقطع وابل الرصاص من فوقه اطل من بين الصخرتين وهو قابض فى مكانه ولكنه لم ير شيئا .. فجال ببصره قليلا حول

الصخريين قشاهد القوارب الأربعة تتجه نحو مدخل البحيرة بدلا
من أن تتجه نحوه ، وحتى حينما وقع بصره عليها كانت قد اختفت
إخلف الصخور .. وكان عليه أن يعكس وضعه على الجزيرة وحينئذ
نظر براون الى الشمس فى قلق وكانت لا تزال هناك ساعات ثلاث
من النهار .. وحمد الله على ذلك .

وتسبب هطول الرصاص من المدافع الرشاشة فى احداث
انهيار فى الصخور على مبعده ثلاثين ياردة من براون وقد اثار هذا
انتباه المصوبين على ظهر السفينة فامطروا المكان الذى حدث فيه
الانهيار بوابل من الرصاص حيث تصاعد الغبار كثيفا ثم توقف
إطلاق النار فجأة .

كانت الذخيرة تنفق بكميات مهولة برغم وجوب المحافظة على
ذخيرة الاسلحة الصغيرة على مثل هذه السفينة الحربية لأطول فترة
ممكنة .. وصدرت عن السفينة أصوات آلات مختلفة وأدرك براون
أن عمليات التصليح تتقدم بسرعة كما أدرك أنه لا يمكنه التدخل
أفى هذه اللحظة .. وقطب جبينه فى حزن لكنه كان يعلم أن هناك
العديد من النظارات المكبرة التى تقوم بعملية مسح لقمة الصخور ،
وأن هناك عشرات من البنادق تقوم مصوبة نحوه ، فلم يجرؤ على
محاولة تغيير موضعه حتى يتمكن من إطلاق النار على الرجال الذين
يكونون ستارة تحمى العاملين فى اصلاح السفينة .

وكان يدري أيضا أن رجالا كثيرين قد هبطوا خلفه على الجانب
الأقصى للجزيرة وسرعان ما سيتقدمون نحوه ويصلون اليه وكان
مكانه خلف الصخرة واضحا من نقطة أو نقطتين على قمة الجزيرة ،
أقلو وصل العدو الى نقطة منهما فى وضوح النهار لتأكد هلاك
براون .. ولو تحرك من مكانه الحالى فى وضع النهار أيضا للقى
يحتفه .

وهكذا فقد اعتمدت حياته على حلول الظلام .. وليس من شك
في أن براون في هذه اللحظة لم يحفل كثيرا بفكرة الموت ، فلم يكن
الخوف من الموت قد تملك منه بعد .. وكل ما كان يجرّوه هو أن
تواثيه الفرصة لتأخير السفينة على جزيرة رزليوشن .. وعلى أي
حال فقد فعل حتى الآن كل ما في وسعه وقبّس في مكانه خلف
الصخرة رابط الجأش قوى العزيمة منتظرا قدوم الليل ، وشعر
براون بأحاساس عميق بالرضا ، ذلك الاحساس الذي يشعر به
كل انسان ينتظر الموت .. وقد بذل كل ما في وسعه كي يتجنب
وتملكه هذا الشعور حتى وهو يراقب السفينة مراقبة دقيقة ..
انتظارا لآية فرصة مناسبة قد تسنح له ..

الفصل العاشر

اندفع القارب البخارى الذى كان يجر خلفه فى هذه المرة قوارب فارعة ، بين الصخور متجها نحو السفينة ، وفى غضون ربع ساعة عاد مرة ثانية وقد امتلأت القوارب بالرجال وراحت المدافع الرشاشة على ظهر السفينة تصب نيرانها مرة ثانية على قمم الجزيرة . كى تمنع براون من اطلاق النار على القوارب لكن براون لم تكن لديه النية فى اطلاق النار . . وشاهد القوارب تتجه وجهتها السابقة وكان هذا يعنى أن الهجوم على الجزيرة سيكون من خط واحد . . وأدرك براون أنه اذا تمكن من التحرك على الجزيرة واتخذ مكانا بعيدا بعض الشيء عن مكانه الحالى فلربما أصبح فى امكانه أن يتحاشى الهجوم وكان تقدير براون لعددهم لا يقل عن مائتى رجل تفصل كلا منهم عن الآخر مسافة عشر ياردات ، وبذلك غطوا نحو ألفى ياردة من مساحة الجزيرة . وكان هناك ما يقرب من أربعة آلاف ياردة فى مؤخرة الجزيرة وجد براون أن عليه أن يجد لنفسه عليها مكانا قصيا اذا ما رغب فى أية فرصة للنجاة .

ومع هذا فهو لم يتحرك من مكانه الا حينما هبط الليل وقد انتظر بصبر مشوب بالقلق لا يدري من لحظة الى أخرى متى يطلقون عليه النار من قمة هذه الجزيرة . . وألقى براون ببصره الى الشمس وهى تغرب ببطء أمام عينيه وقد سلم نفسه تماما للقدر والواجب .

وكان جانب الجزيرة المواجه للبحر لا يختلف كثيرا عن الجانب الداخلى لها الا أنه كان أكثر انحدارا ، وكانت كتل الصخور



البركانية المكونة له ذات حواف حادة كأنها الأمواس فضلاً عن النباتات الشوكية التي كانت تنمو على هذا الجانب بكثافة وتقدمت الفرقة الأرضية بثبات وتفكير وقد اصطف النصف الأول من رجالها على شاطئ البحر حتى حضر النصف الآخر من السفينة فاصطف خلفه . . وكان كل رجل يعرف عمله ، وهو الاندفاع على وجه الجزيرة محافظاً على مكانه ، ومدققاً في كل حرش وفي كل حفرة بحثاً عن الهارب . . واطمان الضابط المنوط بالقيادة على أن كل شيء يسير على ما يرام واتخذ مكانه وسط خط الهجوم وأصدر أمره وبدأ الرجال في تسلق الجزيرة .

ولكن ، واحسرتاه على النظام ومراعاة المحاذاة بين الجنود ، فقد تسببت صعوبة التسلق على وجه الجزيرة المواجه للبحر في التقليل من سرعتهم إلى أقصى درجة . . فلم يعتقد أحد أن التسلق على سفح الجزيرة سيكون بمثل هذه الصعوبة لكنهم لم يدركوا الأمر على حقيقته الا حينما وجدوا أنفسهم في مواجهته .

أما حرارة الشمس الحارقة التي كانت تنبعث من الصخور فقد كانت من أقل الصعاب التي لاقوها . . واتحدت النباتات الشوكية والصخور البركانية المدمية لتدمي أياديهم وأقدامهم ، ففي النصف ساعة الأول نزل الدم من أقدام البعض . . وكان خط الهجوم المتعرج يتحرك ببطء شديد وأصيب الجميع بالعطش الشديد . . وحاول الضباط الغاضبون أن يكونوا قنوة حسنة لرجالهم في الثبات والمثابرة وطبقاً للأوامر المشددة فقد تمكن المهاجمون من الوصول إلى سطح الجزيرة ، لكن ذلك حدث في بضع شديدة ربما أكثر بظناً مما لو قام كل رجل بالتقدم على حدة .

وقبل أن يهبط الليل بنحو ساعة أمر الضابط رجاله بأن يبذلوا كل ما في وسعهم لزيادة سرعة التقدم على الجزيرة وغربت الشمس وراء الشفق القرمزي اللون ، وهبط الليل سريعاً ، قبل أن تطلق

وصاصة واحدة على براون ، وقد انتشر مائتا بحار ألماني على سطح الجزيرة وسط الظلام الدامس ، وعلى الصخور التي تحطم الأقدام ،^{١٥} وانتظر براون في صبر وعزيمة حتى تزداد الظلمة وكان خُلال الظهيرة قد راح يتطلع الى أسفل القمة محاولا أن يجد لنفسه ممرا يسلكه حينما يتخلى عن مكانه الحالي وحينما حل الليل كان براون مستعدا كل الاستعداد فقد ربط يديه بأربطة قطعها من سترته وحزم متاعه حول جسده وكله عزم وتصميم .. وشعر بالغبطة لأن الفرقة الأرضية الألمانية لم تقبض عليه وتخطى الصخرة التي اتخذ منها قلعة له لائنتى عشرة ساعة متجها الى أسفل وآلت الصخور البركانية القاسية جسده ومزقت ثيابه وهو يرمى بنفسه عليها .. وتمزق حذاؤه وجرح جرحا عميقا .. وأحدثت النباتات الشوكية جروحا كثيرة فى جسده تاركة آثارها كأنها مخالب نمر ..

وسرعان ما قطع براون مسافة مائة قدم أسفل السفح فوصل الى المكان الذى بدأ منه رحلته فى الليلة الماضية وهناك وقع بصره على الجرحى من الفرقة الأرضية الأولى ذات القدر المشنوم .. وكان الجرحى يتأوهون فى ألم طالين الماء وكان براون على استعداد لأن يذهب اليهم زائيا فيمدّهم بما يطلبون من ماء لكنه كان يعلم أن ذلك سيعطله عن تنفيذ واجبه .. ولذلك فقد أصم أذنيه عن نأوهماتهم الحزينة التى يرئى لها .. وعلى أى حال فقد مات الكثير من الجرحى فى تلك الليلة .

ودنا براون بجسده من المياه التى زادت من حدة جروحه وآلامه^{١٦} وشق طريقه فى البحيرة بجوار الشاطئ .. وقد أخطأ الألمان فى تطبيق مبدأ هام من مبادئ الحرب ، ألا وهو وجوب المناورة حول نقطة معينة ولذا فقد كان لزاما عليهم أن يعدوا العدة لأن يبقى براون فى مكانه وذلك بحراسة الجبهة الأمامية التى استطاع براون الآن أن ينفذ منها .. وعلى أى حال فحينما حل الليل كان بمقدوره أن يسبح فى البحيرة بقدر ما تسمح له قوته الجسمانية وقد سبح حقا لمسافة طويلة .. وأصبحت كل تحركات الفرقة الألمانية فى

مؤخرة الجزيرة عديمة الجدوى ، وكل ضرباتهم إنما هي ضربات
فى الهواء طالما أن براون استطاع الهرب من طريقهم .

وسبح براون بثبات لمسافة خمسين ياردة حول البحيرة مبتعدا
عن الشاطئ وعن السفينة وشاهد خلفه البحارة الألمان التعساء
وهم يشقون طريقهم على الجزيرة بعناء وهم يتعثرون بين الصخور
البركانية الحادة . .

وفجأة ضجعت الجزيرة بجلبة سقوط البنادق وانحناء البحارة
وتعثرهم بحثا عن مخبأ ، فقد أطلقت طلقة ولا يدري أحد من أطلقها .
• • لكنه من المحتمل أن تكون قد أطلقت عفوا أو نتيجة لعترة أحد
الحمقى فليس غريبا أن تجد عديدا من الحمقى بين هاتئى جندى .
وتردد صدى الطلقة فى أنحاء الظلمة . . وسمع براون صوت الطلقة
وهو يسبح فى البحيرة فأصابته الدهشة . . وسرعان ما سرت عدوى
هذه الطلقة بين الجميع الذين راخوا يحشون بنادقهم ، ولم نمض
ثوان حتى انطلقت جميع البنادق . وتقافزت السحالى والمخلوقات
الليلية فى خوف هنا وهناك فوق الصخور وبين الاحراش مما بث
الرعب فى قلوب الرجال ، وحدثت بينهم جلبة عظيمة لم يقطعها سوى
صفارات الضباط وصيحاتهم التى تأمر الرجال بوقف اطلاق النار .

ولم يكن غريبا بالطبع ألا تصيب مئات الطلقات التى أطلقوها
أحدا لكن الرجال على ظهر السفينة رحبوا ترحيبا عظيما بما حدث
على سطح الجزيرة اعتقادا منهم بأن المجرم الهارب قد لقي حتفه .
غير أن هذا حدث فى الوقت الذى كان براون يشق فيه طريقه عبر
البحيرة الى مكان من الشاطئ مواجه للجانب الايمن للسفينة . .
وعثر بشئ من الصعوبة على مكان يمكنه الخروج اليه فالتقى بحزاميه
بين أشجار التين الشوكى الكثيفة ثم ضم أسنانه فى عزم وبدأ يصعد
القمة المنحدرة .

لكن جروحه وآلامه وتشقق قدميه قد تسبب فى التقليل من

تشاطه الى أقل درجة ، لكن التسلق كان أمرا محتما بالنسبة له اذا ماشاء ان يناور السفينة ليوم آخر . ويتحتم عليه أيضا أن يكون في مكان مرتفع حتى يصد مهاجميه القادمين عن الشاطئ . ويسيطر في ذات الوقت على ظهر السفينة ، كما أنه يجب أن يحتوى بصخرة يمكن أن تصد عنه الهجوم من اليمين ومن اليسار ، فهناك العشرات من حملة البنادق الذين سيضربون في الجزيرة بحثا عنه للقضاء عليه . . .

وتسببت بندقيته وذخيرته في تعطيل حركته تعطيلًا كبيرا . وسال العرق من جسمه ، وتقلص وجهه من العناء في كل خطوة يخطوها . . . وترك يده وقدماه آثارا دائمية على الصخور التي تلمسها ورغم هذا فقد واصل نضاله تجاه القمة بحثا عن مكان مناسب . . . ولم يتوصل الى هذا المكان الا بعد منتصف الليل بكثير وهناك ألقي بجسده فوق الصخور الحادة فاقد الوعي تقريبا .

وبعد نصف ساعة حاول فيها جاهدا أن يستعيد رشده استطاع أن يرفع جسده قليلا ويطل ببصره نحو السفينة التي كانت تطفو على سطح البحيرة وقد بدت ككتلة سوداء قابعة تحت الضوء الخافت مندرة اياه بالخطر ، وقد ظهرت على جانبها الأيمن بقعة من الضوء أكثر وضوحا ، وتناهد الى سمعه عبر المياه أصوات العاملين في اصلاح هذا الجانب ، الذين كانوا يعملون بحماسة في تركيب الألواح الجديدة محاولين تعويض الساعات الست التي تسبب براون في تأخيرهم اياها . وخلال الفجوات الموجودة في الستارة الخارجية استطاع براون أن يلمح بعض الأشخاص متشجعين بستراتهم البيضاء يتحركون هنا وهناك ، وتأهب براون مستجمعا عزيمته مصوبا بندقيته للامام . لكنه كان يرتجف من كثرة ما بذل من جهد ، ولم يكن واثقا من قدرته على اصابة الهدف فضلا عن أن طلقاته النارية ستشفي إمكانه بوضوح وذلك بسبب ظلمة الليل المحيطة به . . . ولما كان براون على علم بأن أعداءه ليسوا على مبعدة منه فإنه لم يجزؤ على الأقدام على اطلاق النار دون أن يوفر لنفسه خط رجعة سليما وكان ذلك بدافع من تقديره لواجبه وليس حرصا على حياته .

وهم براون بما له من دراية حربية كل الاعتبارات المتعلقة بهذا الأمر في الوقت الذي كانت خلايا جسده تنبض بالعذاب ووصل في النهاية إلى قرار سليم ، فوضع بندقيته جانبا وتهالك عليها في سبات عميق دون أن يستقر جسده في وضع مريح • ولا يدري أحد متى أدركه النوم أو الإغماء أو كلاهما في الوقت الذي كان فيه رجال الفرقة الأرضية الذين يبلغون مائتي رجل يتعثرون في طريقهم على سطح الجزيرة محاولين مسحها بينما تنطلق في بعض الأحيان طلقة طائشة أو طلقتين حينما لا تقوى أعصاب الرجال المجاهدين على تحمل العناء •

الفصل الحادى عشر

واستيقظ براون ، أو قل أنه ثاب إلى رشده فى اللحظة التى بدأت فيها خيوط الفجر- المضيئة تنتشر عبر السماء .. ودار أول ما فعله هو أن شرب قليلا من الماء المتبقى فى زجاجته الثانية ، إذ لم تنح له شفتاه المشققتان أو فمه الذى امتلأ بالأتربة البركانية فرصة للتفكير فى عمل أى شىء آخر .. ثم راح يتأكد من مكانه ومركبه .. ومن خلال أحد الثقوب استطاع أن يلمح عددا من الرجال فى ستراتهم البيضاء يتقدمون من قمة الجزيرة ، على مبعده ربع ميل منه .

وعلى الجانب الآخر من الجزيرة ، بالقرب من مكانه القديم ، لمح عددا آخر من الرجال منتشرين هنا وهناك ، وهم لا يزالون يحاولون تنفيذ تلك الأوامر الغريبة التى صدرت اليهم بمسح الجزيرة مسحا دقيقا ولم ير براون شيئا على بقية الجزيرة لكنه كان قادرا على التخمين تخمينا صائبا .. فقد كان الرجال منتشرين على سطح الجزيرة هنا وهناك ، بعضهم لا يزال يناضل فى طريقه ، وبعضهم يعالج جراحه ، وبعضهم قد استلقى فى اغفاءة ، أو راح يؤدى واجبه فى تهاون وتكاسل ، وهم لا يشعرون بأية رقابة عليهم .

وقبع براون فى مخبئه مرة ثانية ، وكان فى مأمن كبير من أن تقع عليه عين ، فقد كان محتجبا عن الأنظار من كل نقطة على الجزيرة تقريبا .

أما السفينة فقد ظهرت أمامه بكامل هيئتها ، وقد غلف الجزء المحطم بنوع من الستائر بدت كأنها صندوق ركب بجانب السفينة .. ومن خلال إحدى الفجوات كان براون يلمح شيئا أبيض يظهر قارة ويختفى أخرى رغم أن جلبة المطارق كانت قد توقفت . وكانت

الألواح المحطمة قد أزيلت ، وكانت العملية التالية هي انزال الألواح الجديدة من ظهر السفينة كي تحل محلها .

وقد تطلب هذا رفع جزء من الستارة الواقية ونتيجة لأن براون قد توقف عن إطلاق النار لمدة خمس عشرة ساعة تقريبا فقد حل بعض الأهمال ، فضلا عن أن كل الرجال على ظهر السفينة كانوا على يقين من أن الفرقة الأرضية قد قصت على براون منذ وقت طويل .

ونظف براون بندقيته بالزيت وحشاها ، وراح يرقب باهتمام الفجوة التي أحدثها رفع جزء من الستارة الواقية وانتظر اللحظة المناسبة تماما ثم أطلق النار مرتين ، وبسرعة ، فأردى رجلين قتيلين . . . وحتى يستغل المفاجأة أحسن استغلال ، فقد استمر في إطلاق النار على الستارة ، وهو يبعثر طلقاته هنا وهناك عبر الستارة ، وأعلهاها وأسفلها فأصاب رجلين آخرين وبث الرعب في قلوب الآخرين ، في اللحظة التي تدلى فيها على جانب السفينة لوح من الصلب يزن عشرة أطنان ، ووجد براون أنه لا جدوى من إطلاق النار عليه .

وأثار الحادث بما نتج عنه من قتلى وجرحى ثورة السفينة بمن عليها ، ثورة لم تحدث من قبل . . . وجن جنون البحارة لموت المزيد من أصدقائهم ، وصبوا جام غضبهم على الفرقة الأرضية التي فشلت في مهمتها فشلا ذريعا . . . وأطلق القبطان فون لوتز إشارات عن طريق « السمافور » تلك الإشارات التي تلقاها قائد الفرقة الأرضية التعس وهو على سطح الجزيرة بعينين زائفتين اثر ليلة طويلة من السهاد والعمل المحموم ، وقد تلقاها وهو حزين النفس مكتئب الى أقصى درجات الاكتئاب ، وكانت الإشارات تنادى القائد بأن يبلغ السفينة بما أنجزه . . . وكان موقفا عصيبا لو تعرض له ضابط ياباني لانتحر ، أما الضابط الألماني فقد استجمع كل ما قد بقى لديه من نشاط وقوة وشق طريقه حول الجزيرة بحثا عن المكان الذي يختبئ به براون .

وتوقف العمل على السفينة مؤقتا ، وكان ذلك نصرا جديدا
لبراون . . ولقي عدد كبير من البحارة المهرة حتفهم في خلال
الفترات التي كان براون يطلق فيها النار على الستارة الواقية . .
ولم يستطع القبطان أن يطلب من بقية رجاله على السفينة أن
يصدوا طلقات براون فقد كانوا يجهلون مكانه تماما . . ولذا فقد
قرر أن يدير السفينة بعيدا عن نقطة الهجوم ، غير أن محاولة
عكس وضع سفينة حربية يبلغ طولها نحو خمسمائة قدم في بحيرة
مملوءة بالدوامات التي يحدثها المد والجزر ، إنما هي محاولة بالغة
الصعوبة تتطلب وقتا كبيرا ، فذلك يتطلب رفع مراسي السفينة
ثم ادارة محركاتها ببطء لبعض الوقت ثم القاء المراسي مرة ثانية ،
علما بأنه نادرا ما يمكن الوصول الى مكان تستقر عليه المراسي في
تلك البحيرة ذات الأغوار السحيقة . . وعلى أى حال ، ففي غضون
ساعة تقريبا تمت عملية الارساء الجديدة كما استؤنف العمل
في تركيب الألواح الجديدة على جانب السفينة المحطم . . وتناهت
الى سمح براون جلبة العمل ، فأدرك أن فترة التأخير التي أرادها
للسفينة قد دنت من نهايتها .

أما رجال الفرقة الأرضية فقد بلغوا ذروة الغضب والسيخ
وأدرك قائد الفرقة أنه من العسير أن تتقدم أية قوة مهما كان نوعها
على طول الجزيرة فقد تبعثر رجاله الذين يبلغ عددهم مائتين على
مسافة ميل تقريبا من أرض بالغة الصعوبة .

وقفزت أمامه فجأة مشكلة المؤونة فأضافت عبئا جديدا على
أعبائه المتراكمة . . فقد هبط كل رجل على الجزيرة وهو يحمل
زاد يومين من الماء ، وقد أجهدوا أنفسهم في العمل اجهادا عظيما
لفترة أربع وعشرين ساعة . . وقد استنفد تسعون في المائة منهم
أكل ما لديهم من ماء قبل انقضاء هذه الفترة بساعات عديدة . .
وكانت الشمس الاستوائية ترتفع في كبد السماء رويدا رويدا
لتزيد من عطشهم . . وبعث القائد الحزين الى القبطان بإشارة يبلغه
فيها بأنه لا يقوى على التحرك على الجزيرة ههنا ماء . . يرد عليه
القبطان ردا صارما لكن القائد تحت الحاح الحاجة الماسية اصر على

طلبه فأرسل له القبطان الماء من مؤخرة الجزيرة ، مصحبا بأوامر مشددة بعدم العودة إلا ببراون ، حيا أو ميتا ..

وكان الوضع المعنوى خطيرا ، بحيث لا يسمح لأى قبطان أن يفكر فى القيام برحلة طويلة وبحارته فى مثل هذه الحالة المعنوية ، فقد قتل وجرح أربعة وثلاثون رجلا ، وأحدث ذلك قلقا واضطرابا عظيمين فى الوقت الذى يتحتم فيه حفظ النظام من أجل الاستمرار فى الرحلة بكل توقعاتها . ووزن القبطان فون لوتز كل أبعاد الموقف وقرّر فى النهاية أنه يجب القضاء على براون .

وعلى هذا فقد أرسل الماء للفرقة الأرضية وبدأ القائد فى توزيعه على رجاله المتناثرين فى أرجاء الجزيرة وكان ذلك أمرا عسيرا . وعند الظهيرة كان كل شيء معدا للتحرك على الجزيرة من جديد ، فى الوقت الذى تم فيه إصلاح السفينة وأصبحت على استعداد لمغادرة الجزيرة ، وتعهد براون على نفسه بتأخيرها مزيدا من الوقت . أما قائد الفرقة الأرضية فقد كان يعمل بكل طاقته ، فبعث بكل المصابين من رجاله ممن أصابتهم ضربة الشمس أو كسرت كواحلهم أو جرحت أقدامهم ، الى أسفل السفح حيث ارتدت الفرقة الأرضية الأولى وهناك لقي الرجال الذين أصابهم براون فى اليوم السابق الاهتمام والماء بعد انتظار طويل . . وأعيد الموتى والجرحى إلى السفينة للقيام بإجراءات الرعاية والدفن اللازمة لهم . ولكن هذا حدث فى الخط الخلفى للهجوم ، أما الخط الأمامى فقد تقدم نحو قمة الجزيرة ، بينما أعد قارب مليء بالبحارة للانطلاق الى أى مكان قد تستدعى الحاجة انطلاقه اليه ، وهبط عدد آخر من البحارة أمام مدخل البحيرة لمنع أية محاولة قد يقوم بها براون لتفادى الهجوم .

وحينما حل الليل كان الرجال لا يزالون متورطين تماما بين شقوق الجزيرة الصخرية أما براون فكان يستقر فى مخبئه خلف الصخور يعذبهُ الظما ، وهو يمسح شفتيه المشقتين بلسانه الجاف ، وقد تملك الألم من يديه وقدميه ، والحشرات الحبيثة تلدع كل مكان فى جسده ، لكنه مع كل هذا ، لم يفكر فى الاستسلام لحظة واحدة ، بل ان ذلك لم يخطر له مطلقا ..

الفصل الثانى عشر

استلقى الهر هانز شميدت ، فى غرفة نومه فى « بنما » ، وقد
راح فى نوم هادى عميق ٠٠ كان يرقد على ظهره ، وحينما أوى
الى فراشه كانت يداه معقودتان فوق بطنه ومع مرور الوقت تحركت
اليدان حتى وصلتا الى صدره فبدا على مظهره الهدوء والاستسلام ،
واستلقت زوجته بجواره فى ذات الحالة من الهدوء والاستسلام ،
فقد كان آل شميدت يؤمنون بالتقليد القديم الخاص باستعمال
سرير مزدوج واحد ، بدلا من سريرين ، رغم حرارة الجو فى
المناطق الاستوائية .

وكان مؤكدا أن الهر شميدت قد استغرق فى النوم نتيجة
لاحساسه بأنه أدى واجبه على خير وجه ، فقد كان رئيسا لمثلنى
ألمانيا غير الرسميين على ساحل المحيط الهادى ، وقد أنجز كل
عملياته حتى الآن بنجاح تام . وقد علم من مصادر خاطفة مبلغ
قوة كتيبة أمير البحر « كرادوك » فأبلغ به فون سبى على الفور ،
وقد ظهرت نتيجة ذلك بوضوح فى موقعة « كورونيل » ٠٠ وكانت
لديه فى « جواياكيل » و « كالى » حاملات وقود معدة للابحار فى
أية لحظة ، وعلى هذا فانه اذا ما قرر فون سبى العودة شمالا تجاه
« كورونيل » فسوف يجد وفرة من الوقود فى انتظاره .

أما اذا تحولت تسيثن عن مسيرها على غير توقع فسوف تجد
مثل هذا الاستقبال الطيب فى انتظارها ٠٠ وكان العملاء الألمان
فى كل مكان ينشدون الأخبار هنا وهناك ويرسلون اليه بها
قريبط بينها ثم يبلغها بدوره الى رجاله عبر المحيط . وقد بلغت
أثناء معركة السفينة الحربية البريطانية فى جزر الهند الغربية كما
يُكان على علم بكل سفن المراقبة المنتشرة فى المحيط خشية أن تنطلق

المدمرات التجارية الألمانية من الموانئ الأمريكية على المحيط
الأطلسي .

وأطلق التليفون بجانبه رنيناً حاداً فذهب من رقدته مستيقظاً .
وكانت زوجته تتمتم بجواره بكلام غير مفهوم وهي تجمع شعرها
المشعث بعيداً عن عينيها ، وأضاعت الحجر في الوقت الذي فتح فيه
هو كلة السرير ومد يده حتى وصلت الى التليفون . وكان أول
ما تطرق الى سماعه هو مجرد غمغمة لا معنى لها ، لكن الأمر لم يكن
في غاية الأهمية اذ غمغم هو الآخر بإجابة مقتضبة ، وبعد أن تبادل
الكلمة السر مع عميله على الطرف الآخر ، راح ذلك العميل يصب
أخباره الجديدة في أذني الهرشמידت المرهفتين . لكن الأنباء كانت
تحمّل بين طياتها ما أزعج الهرشמידت وجعله يقفز من سريره في
دهشة :

— ماذا تقول ؟ أين هي الآن ؟

وأجاب العميل قائلاً :

— لقد كانوا يمرون بـ « جاتون » حينما حاولت الاتصال بك
أول مرة ياسيدي ولا شك أنهم وصلوا الآن الى خليج « الكات » .

وتساءل الهرشמידت في صرامة :

— ولكن لماذا لم أبلغ بذلك في حينه ؟

وهمهم الرجل همهمات خافتة وقال :

— انني في واقع الأمر لم أتمكن من ذلك ياسيدي ، فهذان
الانجليزيان كانا في أعقابنا دائماً ، وقد خطفا « شولز » ، انني
وائق من هذا . . . لقد حدثتكم عنهما كثيراً فيما مضى . . . وانني
ببساطة لم أستطع الاتصال بـ « بنما » من قبل فاحطوط التليفونية
مشغولة دائماً بشكل كبير . . .

وانفجر الهرشמידت صائحاً :

— هراء . . . انكم عصابة من الجبناء ، بل انكم لانسوا من هذا
أو تقول انك لا تعلم حتى اسم البارجة الحربية ؟ .

- كلا ياسيدي ، فلم أستطع الحصول عليه ، لكنني واثق من أنها بارجة حربية ، وتزن عشرين ألف طن ، أما البارجة الصغيرة فاسمها « بنزاس » ..

وقال شميدت ثائرا :

- فلتحصل لي على اسم الأخرى حالا ، وكل ما يتعلق بها من معلومات : من أى مكان قدمت ، وما غرضها ؟ أما اذا لم تستطع القيام بذلك وأنت في « جاتون » فلن أدفع لك شيئا بعد اليوم .. ولتتصل بي في غضون ساعتين ..

وألقي بسماعة التليفون بعنف ، واندفع من سريره ، ووضع نظارته السمكة المستديرة على عينيه بيد بينما تناول بالآخرى سرواله ، وارتدى ملابسه بسرعة ، وغمغم لزوحته بكلمات غير واضحة ثم خرج من المنزل متجها الى « الجراج » ، وبعد ثلاث دقائق ، وتحت ضوء الفجر الحبابي ، انطلق بسيارته خارجا من « بنما » ، وقد أضاء مصباحيه الكبيرين اللذين كانا يعثسان بأشعتهما القوية ، بينما انحنى شميدت بجسده البدين على عجلة القيادة ممسكا ايها بذراعيه الكبيرتين الكثيفتي الشعر . وخرج من « بنما » ، وسيارته تقطع الطريق الزراعي المليء بالمطبات والحفر بسرعة جنونية . وهرق عبر آثار « بنما » القديمة واستمر في السير حتى تضاعل الطريق فأصبح مجرد ممر ضيق في المكان الذي ترتبط فيه منطقة القناة بجمهورية بنما .. ونظمت قيادة السيارة على هذا الممر الضيق يدا ثابتة وذراعا قوية ، ولكن هانز شميدت كان سائقا ماهرا . وانحرف جانبا على ممر أكثر ضيقا حيث مادت الأرض تحت عجلات سيارته التي شقت طريقها نحو التل وقدم شميدت الثابتة مستقرة على « اكسلاتير » السيارة ، حتى انتهى به الممر في النهاية الى قطعة أرض مهجورة تقريبا عليها مبنى عال أصابه التهدم قليلا ويظهر فناؤه بعض الدلائل على أنه كان مشغولا ببعض الناس منذ وقت قريب . وأوقف الهر شميدت سيارته وقفز منها بخفة غير متوقعة منه ، واندفع الى داخل المبنى وراح يصعد السلالم الحجرية المتهدمة .

وكانت الحجرة العلوية لذلك البرج مؤنثة على أحدث طراز .
وينطبق هذا على أهم ما في الحجرة من أجهزة ، فقد كانت تحتوي
على أقوى جهاز لاسلكي للارسال والاستقبال . وقد كان ذلك
البرج المتهدم هو المخبأ السري للمخابرات الألمانية في المحيط
لهادي ، وكان منذ قرنين ونصف قرن قلعة استولى عليها بعض
لقراصنة واتخذوها مركزا لأعمالهم . وفي أحد جوانب الحجرة
استلقى شاب على سرير بسيط ، وهو نصف نائم وأمام جهاز
اللاسلكي جلس شاب آخر وهو يضع السماعات على أذنيه ،
ونظر كلاهما الى الهر شميدت لحظة دخوله لكنه قابلهما بقليل من
الترحيب ، وأشار عليهما بالخروج فنهض الاثنان لكي ينفذا أمره .
وقدم له الشاب الذي كان يجلس أمام جهاز اللاسلكي مجموعة من
الأوراق المسجلة عليها البرقيات التي تلقاها أخيرا ، وكانت برقيات
مختلفة بعضها واضحة وبعضها بالشفرة وبعضها عسكرية والأخرى
تجارية ، لكن شميدت ألقى بها جانبا بعد أن تصفحها تصفحا سريعا
وقال لهما :

« أخرجنا بسرعة »

وأخرجا يتعثران في مشيتهما ، بينما رمى شميدت بنفسه على
مقعد أمام جهاز اللاسلكي وبدأ يدير صماماته بيديه الغليظتين .
استعدادا لارسال برقية استدعاء عام لكل البوارج الألمانية في
المحيط . تلك البرقية التي مستقبليها المحطات الثانوية في
« كالمو » وفي « فالباريزو » ثم تذييعها بدورها . . . وسوف يستقبلها
القبطان فون سبي على ساحل « شيلي » ومستقبليها السفينة
تسميثن التائهة في مكان ما في المحيط الهادى . وراح شميدت
يرسل برقيته مرة تلو أخرى لساعات كاملة والعرق يتصبب من
خيشته الطويلة لقد كانت برقية لا يمكن أن يعهد بها الى صغار
موظفيه .

لقد فهم الهر شميدت مما وصلت اليه من أنباء أن البحرية
البريطانية سوف توجه ضربة قوية الى كتيبة فون سبي ، ولن
يستعمل في ذلك سفنا صغيرة أو بوارج حربية ذات طراز قديم .

فقد زودت البحرية بقوة جديدة ، اذ أصبح اللورد فيشر أمير البحر قائدا عاما للبحرية بعد كارثة « كورونيل » ، وقد قرر مطاردة فون سبي والقضاء عليه على أن تقوم بهذه المهمة أقوى البوارج الحربية البريطانية . ووضعت الخطة بأن يقوم أمير البحر « ستوردي » من انجلترا على رأس حيلة مكونة من السفينتين « انفنسيبل » و « انفلكسيبل » ، بالإضافة الى اثنتي عشرة بارجة حربية حديثة الطراز ، كي يقوم بعملية مسح شامل للمحيط الهادئ لكن هذا الجزء من الخطة لم يكن معلوما للهر شميديت ولا لاي قائد ألماني حتى وقع بصر كل من فون سبي وفولكلاند على البوارج البريطانية فأدركوا أن موتهم قد حان . وأولى شميديت اهتمامه الأكبر حينئذ بعملية المسح التي ستقوم بها السفن البريطانية جنوب المحيط الهادئ .

وكانت السفينة البريطانية « ليوبارد » مستوطنة في جزر الهند الغربية لمدة ثلاثة أسابيع ، ومن هناك كانت تتقرب قدوم فون سبي أو أية قوة من قواته التي قد تعبر قناة بنما ، كما كانت مهمتها مقابلة أية محاولة يمكن أن يقوم بها الألمان للتحرك شمالا تجاه خليج الهورن . لكن تلك السياسة الدفاعية لم ترق للقيادة الجديدة ، فقد ارتأت أن تقوم « ليوبارد » بدور فعلي ، فتعبر قناة بنما بدلا من أن تنتظر من الألمان أن يفعلوا ذلك ، وتبحث عن عدوها بدلا من أن تنتظر لقاءه في سلبية . وكانت تلك هي الاستراتيجية الحقيقية والحاسمة . وصدرت الأوامر الى « ليوبارد » بذلك في ذات اليوم الذي صدرت فيه الأوامر الى أمير البحر « ستوردي » .

وعلى هذا فقد تركت « ليوبارد » جزر الهند الغربية ، تراقبها البارجة الحربية الصغيرة « بنزانس » ، التي تعرف عليها العملاء الألمان وعبرت السفينتان قناة بنما وكان هذا يعنى النهاية المحققة لأية سفينة ألمانية في المحيط . غير أن شميديت واصل أداء واجبه على خير وجه وأصابه القوة تعيد إرسال البرقية كل نصف ساعة

» الفصل الثالث عشر

وقضى البروت براون ليلة عصبية ، فقبل أن يحل الصباح كان الماء قد نفذ منه ، واحتل عطشه كل تفكيره ، وأدى به الجوع الى تناول بعض ما معه من معلبات مما زاد من عطشه . . . وأدرك من انقطاع الجلبة على ظهر السفينة أنه قد تم اصلاحها ، لكنه رأى أنه طالما كانت هناك فرقة أرضية على الشاطئ فإن عليه أن يستمر في القتال كي يشغلها وبذلك يؤخر وجود تسيثن على جزيرة وزليوشن لفترة أطول . . . وتغلب على عطشه وراح يغفو بين لحظة وأخرى في نوم متقطع كان يستيقظ منه قزعا في كل مرة ، على الجلبة التي تحدثها الفرقة الأرضية فتفسد بها سكون الليل .

وانه لمن الصعب تخيل الحالة التي كان عليها سطح جزيرة وزليوشن . انها مساحة شاسعة من الطين معرضة للشمس بصفة دائمة فأصابها التشقق في كل مكان وهذا ما حدث تماما بالنسبة للصخور البركانية التي تتكون منها الجزيرة ، أما عن تلك الشقوق فإن عمقها يختلف ما بين قدم واحد وعشرة أقدام ، وهي ذات حواف كأنها السكاكين القاطعة . . . هذا فضلا عن أن منحدرات الجزيرة تكاد أن تكون عمودية ، وقد غطاها التين الشوكي مما يجعل من العسير تماما أن يشق المرء طريقه عليها في ظلمة الليل خاصة وإن كان يكاد أن يموت ظمأ في ليلة حارة .

وحينما حل الصباح ، وكان براون لا يزال على قيد الحياة ، ولم يعثر عليه أعداؤه الذين فوجئوا بهذه الحقيقة عن طريق رصاصتين أطلقهما براون تجاه السفينة فكادتا أن تصيبا الضابط المنوط بالحراسة ، تحول البشر والمرح اللذان انتشرا فوق السفينة الى موجة من السخط والهياج . . . وتعرض قائد السفينة لسخرية

شديدة نتيجة لهذا الفشل ، فتدخل القبطان لوتز في الأمر وأرسل
فجاء خمسين رجلا للقيام بعملية هجوم مفاجيء على المكان الذي
اعتمد بأن براون يختفي فيه . وجاء تقديره على بعد مائة ياردة
من مكان براون الفعلي ، وكان هذا تقديرا بارعا اذا ما اعتبرنا أنه
بناء على مجرد سماعه لصدى طلقات بندقية براون .

ولمح براون اقتراب القوارب فسدد بندقيته نحوها لكنه الآن وقد اصطكت أسنانه وارتعشت يدها من الحمى ، لم يعد قادرا حتى على ان يصوب تصويبا متوسطا . . . وحينما لم يعد قادرا على التصويب وراحت رصاصاته الباقية تفلت منه الواحدة بعد الاخرى دونما نتيجة أدرك أن منيته قد قاربتة . غير أن براون استمر في اطلاق النار وربما عن طريق الصدفة المحضه وحدها كان بعض الرجال يسقطون الواحد تلو الآخر وقد أصابتهم طلقاته الطائشة لكنها كانت حالات بسيطة لم توقف تقدم القوارب التي اندفعت الى أسفل الجزيرة حيث قفز بحارها تجاه السفح ، فتناثرت هنا وهناك السحالي البحرية التي كانت تتغذى على عشب البحر في هدوء غير عابثه بوطيس المعركة الحامية التي يتردد صداها فوق الجزيرة .

وسخى على مبعدة مائة ياردة كان براون لا يزال بعد غير قادر على اعادة التصوير اذ اصاب رجلين بعد خمس طلقات ، وحينما مد يده الى حقيبته ليخرج المزيد من الطلقات لم يجد سوى ما يملأ خزان بندقيته لمرتين فقط . . . وأدرك أنه لن يستطيع بهذا القدر الضئيل من الطلقات أن يصد ذلك الهجوم القريب . . . وأدرك أنه قد وقع أخيرا في قبضة الموت . . .

وانفجرت شفته المتشققتان الداكنتان عن أسنان بيضاء ناصعة
واستجمع قواه المهدودة للمرة الأخيرة وسيطر على أطرافه الضعيفة
المرتعشة ، وحاول أن يطلق النار على مهاجمه واحدا واحدا ..

وسقط منهم الكثيرون ، لاسيما بسبب صعوبة الصعود ٠٠ وكما حدث من قبل كمن المتسلقون في الثقب والفجوات بعد أن كونوا فكرة عامة عن المكان الذي يحتله براون اعتمادا على مصدر صوت اطلاق النار ، وبدعوا في اطلاق النار عليه ٠٠ مرة اخرى سمع

براون الصوت الحاد لرصاصة انطلقت بجانبه تماما ، ومرة أخرى تطايرت هنا وهناك حصوات من التراب البركاني حيث اصطدمت الطلقات .. ولم يكن براون فى مكان يستطيع أن يسيطر منه على الموقف أو أن يلمح الكتل الصحرية التى يحتفى وراءها مهاجموه ، غير أنه كان يلمح بين حين وآخر أجزاء صغيرة من أجسامهم تلك الأجزاء التى لم يكن باستطاعته وهو فى حالته تلك أن يصوب نحوها تصويبا دقيقا .. وأسقط رجلين آخرين ، لكن ذلك أيضا لم يعرقل تقدم أربعين رجلا آخرين كانوا يطلقون النار عليه .. وحينما ملا خزان بندقيته بأخر مجموعة من الطلقات رأى أن يحتفظ بهذه المجموعة كى يستخدمها فى هجومهم الأخير عليه .. وزاد التصاقه بالصخور بقدر إمكانه منتظرا نهايته فى صبر عظيم بينما كان وابل من الرصاص يدوى حوله .

وتقدموا منه بخطى واسعة وقد بث انقطاعه عن إطلاق النار الشجاعة فى قلوبهم وكانوا يسرفون فى الذخيرة بدرجة يدهش لها دون جدوى اللهم الا كانت الجلبة التى يحدثونها تبعث الحماسة فى قلوبهم . وأطل براون بطرف عينية عبر الصخور فشاهد رجلين أو ثلاثة على مبعدة خمسين ياردة منه .. وأدرك أنه سرعان ما سيلمحه أحدهم فيقضى عليه . ولم يشعر بأى كره أو اعتراض سواء تجاه القدر أو تجاه الرجال الذين كانوا على وشك القضاء على حياته ، فقد فعل كل ما بوسعه .

غير أن المعركة توقفت فى تلك اللحظة اثر انطلاق عدد من صفارات الانذار على السفينة التى تدعو الجميع الى التجمع على ظهر السفينة .. وتردد المهاجمون لدقائق قليلة فقد كان من الصعب عليهم العودة بعد أن دنوا من النصر ، ولكن صفارات الانذار انطلقت مرة ثانية تصدر نداءات محمومة .. ولم يكن بمستطاع أحد أن يتصرف من تلقاء نفسه ضد تلك الأوامر المحددة والمتكررة .. وأطلق الضابط الذى يقود الفرقة الأرضية صفارته رغما عنه وعاد المهاجمون يهبطون السفح وهم يتعثرون عثرات خطيرة ويشعرون بفشلهم الذريع فى انجاز مهمتهم .. ورأهم براون يعودون وفى هذه المرة

بذل مجهودا عظيما كي ينهض من مكانه قليلا ليطلق زحاصا اخترقت كتف الضابط قائد الفرقة ، وقد تسبب ذلك في تأخير تراجع المهاجمين لبعض الوقت حيث عادوا الى الضابط القتيلى ، وراحوا يطلقون مزيدا من الرصاص على المكان الذى يقبع فيه براون ، غير أن صوت الصفارات كان يتعالى من وقت لآخر يطالبهم بالعودة الى السفينة ٠٠ وسقطوا فى القوارب حاملين جراحهم وموتاهم ، وشقوا طريقهم الى السفينة فى ببطء ٠٠

ولم يكن تراجع الفرقة الأرضية عن الجزيرة هو الذى استغرق وقتا طويلا بفدر ما استغرقه عودة العديد من الرجال الذين تناثروا فى مختلف أرجاء الجزيرة لنحو أربع وعشرين ساعة ، وقد فقدوا معنوياتهم وحل بهم التعب فخرجوا عن النظام ، كما استلقى الكسلى منهم فى بعض الحفر وغرقوا فى سبات عميق ٠٠ وتحت حر الظهيرة اللاهع كان حتى أكثر الرجال جرأة وشجاعة يجرون أذيال الهزيمة وقد تحطمت معنوياتهم ، فراحوا يسيرون بلا هدى ، حتى أن بعضهم كان يسير فى اتجاه مخالف تماما لما يرجو القائد . وكانت الصخور التى أوقدتها حرارة الشمس كفيلا بحرق أية يد يمكن أن تمتد إليها مما يشبط من عزيمتهم ، أما الذين كانوا يشقون طريقهم للأمام فى ثقة وشجاعة فسرعان ما كانوا يتباطئون حينما يدركون أنهم هزموا جميعا على يد رجل واحد . وكان القائد يرقب عملية وصول الرجال الى السفينة بصبر نافذ اذ كانت تتم بببطء شديد رغم النداءات المتعالية التى تطلقها صفارات الانذار .

وعلى مبعدة خمسين ياردة شاهد القائد البحار « مولر » ، يتلصقا فى طريقه الى السفينة ، فصاح فيه آمرا اياه بالاسراع غير أن ذلك البحار أجاب بكلمات غير مفهومة وواصل سيره ، فقد كان سلك طريقا أقل وعورة مما حدا به الى الابتعاد مرة ثانية عن مرأى القائد ٠٠ وعلى بعد مائة ياردة منه توقف عن السير ليستريح قليلا ، وجلس تحت ظل متبعث من إحدى الصخور البركانية ، اذ كانت الشمس حينئذ قد مالت نحو المغيب . ومسح وجهه ، وخطر له أنه يكاد يموت عطشا فهب واقفا وخياله يصور له مائة طريقة للحصول على الماء ، واستأنف السير وهو يجول ببصره هنا وهناك بلا

اهتمام ؛ وعلى مبعدة ربع ميل منه لمح شيئا لا هو بالصخور ولا بنبات
التين الشوكي . وساوره الاعتقاد بأنه رأس أو كتف لرجل محتبي
خلف كتلة من الصخور البركانية يستطلع من هناك ما يدور على
الجزيرة . وفي الحال استلقى مولر على وجهه وحشا بندقيته وصوبها
ناحية ذلك الهدف الذي كانت الشمس الساطعة تظهره له تماما ،
وأطلق النار . وقبل أن يتيقن مما اذا كان قد أصاب هدفه أم لا
ظهر امامه فجأة أحد الضباط ، وصاح فيه أن ينهض على قدميه
ويحمل بندقيته على كتفه ويستأنف عودته الى السفينة ، وأنفرد
بأن يستعد لتطبيق عقوبة السجن عليه بعد العودة الى السفينة
لاطلاقه النار ومخالفته للأوامر التي دعت له للاتجاه الى السفينة مباشرة
ودون أى تأخير .

لكن تلك الطلقة الأخيرة التي انطلقت في آخر ساعات النهار
كانت قد أصابت هدفها واستقرت في أعلى الجانب الأيمن لبراون
وقد مزقت في طريقها كتفه وضلعا من ضلوعه ، وأردته على ظهره
في الفجوة الذي يختبئ بها ، وأصابته الطلقة في البداية بحالة من
التخدير وتحسس الجرح بيديه وأصابته الدهشة حينما أعادهما
امام عينيه فوجدهما تنز فان دما . . وما أن غربت الشمس حتى حل
به الألم العظيم .

الفصل الرابع عشر

بعد شروق الشمس مباشرة تلقت السفينة تشيثن أوامر جديدة من القائد العام الهر. شميدت ، لكن رجالها كانوا في حالة بالغة الفوضى والاضطراب حتى أن رجال اللاسلكي لم يفهموا ما يقسوله البرق . وأعلن ضابط اللاسلكي أنه يخمن أن تكون تلك الاشارات مبعوثة عن جهاز أمريكي لكنه لم يكتشف أن مرسلها هو القائل: العام شميدت نفسه الا مؤخرا . . . وعند الظهيرة استطاع القبطان لوتز أن يفسر البرقية التي كانت تحمل معلومات خطيرة تقول بأن بارجة حربية بريطانية قد عبرت قناة « بنما » الى المحيط الهادئ بصحبة احدى السفن البريطانية . وما أن تأكد من ذلك لم يتوان عن اتخاذ قراراته ، فقد أدرك أن الموت يتعقبه وأصبح لزاما عليه أن يغادر مرفأه بأسرع وقت ويختفى عن الأنظار . . . وأصدر أوامره العاجلة باستدعاء بقية رجال الفرقة الأرضية .

وتوالى قدوم الرجال من الجزيرة محملين بالمزيد من الجرحى والموتى مما أثار جنون هؤلاء الذين بقوا على السفينة ، غير أنه بحلول الليل كان لايزال هناك ما يقرب من مائة رجل ممن ضلوا طريقهم على منحدرات الجزيرة ذات الدروب المتشابكة المعقدة - وراح ضباط الصف يطلقون صفاراتهم ويصدرون أوامرهم خلالا مكبرات الصوت فى عتمة الليل لكن ذلك كله لم يجد كثيرا . . . ومن وقت لآخر كانت تهبط مجموعة صغيرة أو شخص تائه عبر السفح تجاه القوارب ، ومع ذلك فقد مرت الساعات الواحدة تلو الأخرى دون أن يقل عدد الرجال الموجودين على الجزيرة كثيرا . واستشاط القبطان غضبا ، وكان بصدد الابحار دونهم غير أنه كان يدرك مافى لذلك من مجازفة فقد كان الاستغناء عن خمسين رجلا آخرين يعد أمرا خطيرا . ولذلك فلم يشأ أن يحمل نفسه مسئولية تركهم ، خاصة وأن ذلك كان يعنى هلاكهم على جزيرة لا ماء فيها ولا حياة .

وانصرم الليل وحل الصباح ، وانتشر ضوء النهار على الجزيرة . قبل اب يشق آخر رجل طريقه متعترا من سمح الجزيرة بجساره القوارب . وعند الظهر فكت تسيثن مراسيها بركة ذلك المكان الملعون الى البحر القسيح ، وقد تحطمت معنويات بحارها ، وثارت ثائرة ضباطها ، فلاول مرة تنعدم الكفاية الحربية الالمانيه ويحتل النظام بين رجالها . . ورغم أن طبيعة الجزيرة القاسية كانت سببا في ذلك الا أن الكثيرين يرون أن جل الفصل في ذلك الانتصار بصرف النظر عن العوامل الطبيعية العارضة ، يعود الى البحار الأول البرت براون ، الذي جازف بتعريض نفسه لمواجهه سفينة حربية عظيمة ، والذي كان على يقين من أن هذه المجازفة ستكلفه حياته ، وقد دفع هذا الثمن راضيا دونما أى أمل في مدح أو ثناء من أحد .

وكان يقينا أن براون في طريقه الى الموت ، فقد أمضى اثر - أصابته ليلة عانى فيها من صنوف العذاب ألوانا . . اذ داهمه الالم بعنف بعد أن تلاشت عنه حالة التحدير التي أصابته بها بداية الصدمة . . وانتابته حمى قوية ، فراح يستفض بشدة من فرط الالم بطريقه ينفطر لها القلب كطفل يبذل جهده للتخلص من عذابه . . ورغم انه قاسى من قبل من عناء العطش أهوالا فظيعة الا أن ذلك العناء لم يكن ليقارن بما يقاسيه الآن من عذاب . . وقد فقد وعيه في تلك الليلة مرات عديدة كان يثوب فيها الى رشده ثانية على حين غرة وقد تملكه اعتقاد قوى بأن هناك قطرات من الماء فى احدى زجاجتيه ، وفى كل مرة من تلك المرات يلوى جذعه حتى تصل يده اليسرى اليهما ، ثم يفتحهما ، ويرقع كلا منهما الى شفثيه المتشققتين المتورمتين . . ولم يكمل ذلك المجهود المضنى بالنجاح سوى مرة واحدة ، تلك هي المرة الأولى ، حيث سالت قطرات قليلة من الماء البارد المنعش خلال عنق الزجاجاة الى فمه الملهب ، وبعدها انتهى كل شيء فلم تكن هناك قطرة واحدة فى أى من الزجاجتين رغم أمل براون العظيم فى ذلك .

وحينما مد براون يده اليسرى متحسسا بها كتفه الجريح جالت براسه المتعب ذكرى ذلك الفتى الالمانى الذى اطلق عليه براون

الرصاص منذ يومين فأصابه في كتفه • واسترجع عقله الحزين
كيف سقط ذلك الفتى متحسسا كتفه كما يفعل براون الآن ١٩٠
وتذكر تقطية الألم التي لاحت على وجه الفتى الجميل ، ثم تذكر
كيف استلقى ذلك الفتى فيما بعد يعاني عذاب الشمس المحسرة
وهو يتأوه في وهن طلبا للماء ٢٠

ورنت أصداء صرخاته الحزينة في أذني براون لوقت طويل حتى
خطر له أن ينهض ويواسيه • وفي اللحظة التي خطر له فيها هذا
الحاطر شعر بأن ذلك لن يكلفه جهدا كبيرا ، فقد هبطت عليه في
ذات اللحظة قوة الهمة حملته في الهواء برفق ، وقد حدث ذلك
بسهولة حتى أن براون أصابته الدهشة لأنه لم يكتشف ذلك من
قبل • وشعر بأنه يطفو في الهواء الى حيث يستلقي الفتى الألماني
وقد انعكس ضوء الشمس على شعره الفاتح اللون ، فتناول يده
وعندئذ فتح الفتى عينيه وابتسم ابتسامة مشرقة كأنها ابتسامة
صديق ٢٠ وأحبه براون لأول وهلة لخلاوة عينيه الزرقاوين كعيون
الأطفال ٢٠ ولبشرته التي أكسبتها الشمس لونا ذهبيا ٢٠ ورفع
براون ببساطة من يده وترك الاثنين ذلك المكان الصخري الموحش
الى مكان آخر وارف الظلال واستدار الفتى ناحية براون وطلب منه
شيئا ما ، فأوما له براون قائلا : في الحال ٢٠ وذهب الاثنين الى
سهل أخضر تنتصب فيه أشجار عالية ، ويشقه نهر صغير عميق
صافي المياه ، يعكس خضرة الطبيعة الجميلة ٢٠ وشربا من الماء الذي
كان باردا ومنعشا ، فغبا منه غبا ٢٠ ونظر كل منهما الى الآخر
وشرقا في الضحك وقد شملتتهما السعادة • وبعد ذلك نزلا الى أعماق
الجدول الصافي حيث جرفهما التيار وهما بهزجان في المياه ، عارين
وغمرهما جو لطيف مفعم بالحب والصدقة •

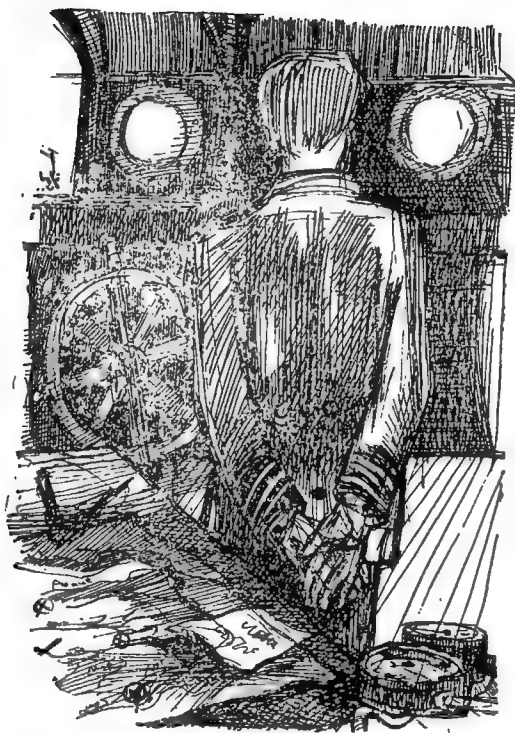
لكن براون حينما نظر مرة ثانية الى الفتى ذي الشعر الفاتح
اللون وهو يبتسم له ، لم يبتسم الفتى ، بل تقلص وجهه من الألم
وهدد براون بقبضاته وهو يحمل في يده بعينه الموحشتين ، فتركه
براون ليجد أن الماء البارد قد نضب من جوله تاركا اياه على قاع
النهر الصخري ٢٢٢ وانقلب الجو حارا مرة أخرى وألمته الصخور

الحادة من تحته ، وتأوه بشدة فقد أدرك أن كتفه أيضا تؤلمه آلاما حادة .. وقاب براون الى رشده منتقلا بذلك الى عالم مظلم مليء بالعذاب والاسى والعطش الشنيع .

هاقد تخلت عنه اذن مياهج الحياة التي لم يعرف لها طعما ، ولربما لو قدر لبراون أن يموت فى الثمانين من عمره فى حالة أفضل ، تاركا خلفه سجلا حافلا بالانتصارات الانسانية وترك له الاختيار قبل أن ينزل على جزيرة رزليوشن لاختار لنفسه ذات الحياة التي قضاهم والتي سجلتها صفحات تلك الرواية والتي كان مؤكدا أن كثيرين من الناس سوف يختارونها له .

ولم يبق براون طعم النجاح الذى حققه ، فقد أسفرت جهوده فى النهاية عن نتائج مذهلة .. وحينما تاب الى رشده فى ذلك اليوم هش الذباب عن وجهه ، واستجمع قواه الحائرة حتى استند على حافة الصخرة وألقى نظرة الى البحر .. كانت المياه الزرقاء تلالا تحت ضوء الشمس وقد انعكست عليها قمم الجبال المجاورة فراحت ترقص أمام عينيه الزائفتين .. وعلى حافة المياه انهمكت السحالى البحرية فى قرض الأعشاب ، تماما كما كانت تفعل السحالى البحرية منذ آلاف السنين .. وعلى البعد كانت طيور النورس تحلق فوق سطح الماء وتتوارى خلف ذلك الخط الرمادى الذى تتراعى للبصر عنده نهاية المحيط . أما عن الباخرة تسيثن فان براون لم ير منها شيئا ، فقد حجبت القمم العالية عن ناظريه غلالات الدخان المتصاعدة منها وهى تشق طريقها نحو الأفق البعيد .

كانت السفينة قد رحلت سالمة ، ولم تفلح مجهودات براون فى تأخيرها الا لمدة ثمان وأربعين ساعة وهى فترة بسيطة فى رحلة تستمر ستة شهور . وسقط براون بوجهه على الصخرة مرة ثانية قانطا محطم القلب وقد احتاحت آلام الحمى والعطش ، تلك الآلام التى أسلم بسببها الروح قبل نهاية اليوم .



لفصل الخامس عشر

جلس القبطان ريتشارد سامارز فى قمرة وحيدا ، يفكر فى المشاكل التى تعرض لها نتيجة لتعليمات القيادة البحرية الصارمة ، وقد وضع امامه خريطة بين عليها الاماكن التى يحتمل ظهور فون صى فيها . . وقد سبب عبوره قناة بنما على راس السفينة « ليوبارد » وبصحبة البسارجة الحربية « بنزانس » كثيرا من التساؤلات والاعتراضات واستغرق سامارز فى تفكير عميق محاولا استخدام كل ما لديه من خيال . . وكان سامارز يدرك أنه من الرجال المحظوظين فى القوات البحرية ، فهو الآن قائد لبسارجة حربية وهو ما يطمح اليه أمثاله من منصب ، فضلا عن أنه موكل بقيادة بارجة أخرى « بنزانس » .

وابتسم سامارز وهو يستعيد فى ذاكرته كل الأسباب التى لم تهبىء للسفينة « ليوبارد » فرصة الحصول على قائد برتبة « أمير بحر » . . ان عددا من أمراء البحر كانوا على استعداد لقبول الفرصة مسرورين لو تغيرت الظروف قليلا . . وربما لو كان ذلك قد حدث لتوج أمير البحر المنوط بقيادة « ليوبارد » بكل نصر يحققه السفينة ، ووجد القبطان سامارز نفسه مرغما على الرضا بالإشارات العابرة التى ترد عنه فى التقارير الرسمية .

غير أنه فى الوقت الذى يحصل فيه أمير البحر على جائزة انتصاره فإنه يتحمل مسؤولية فشله . . وفى حالة عدم وجود أمير للبحر فإن المسؤولية كلها تقع على قبطان السفينة ، وهذا مما كان يقلق القبطان سامارز .

لقد أعطته التعليمات مطلق الحرية وكان عليه أن يطارد فون صى وكتيبته متعاوناً فى ذلك مع الضباط الآخرين المجاورين له

أقى المنطقة . وكان القيد الوحيد بالنسبة له هو المحافظة على « ليوبارد » وعدم تعريضها للدمار ، فان تحطيم بارجة عظيمة كذلك لا يساوى تحطيم بارجة حربية أخرى اقل منها شأنا .. لكن هذا القيد ظهر طبيعيا أمام هيئة الضباط الذين رءوا أن سرعة «ليوبارد» تزيد على سرعة بوارج فون سبى بأربع عقدات على الأقل ، كما أن مرمى مدافعها يفوق مرمى مدافع فون سبى بنحو ميلين أو أكثر ولكن ليوبارد اذا ما التقت وحدها ببوارج فون سبى الثلاث - « شانهورست وجنايزناو وتسپثن » - فان الأمور قد لا تصبح سهلة كما يبدو .. فلربما تقترب اثنتان منهما فى الوقت الذى يضرب هو فيه البارجة الثالثة ، وقد تنتشر حوله البوارج الثلاث ، وربما يحالفه الحظ بضرب احداها لكن الأخرتين قد تطلقان قنابلهما عليه .. كما أن بنزاس ايضا معرضة للضرب وسيكون هذا فشلا عظيما يتعرض سامارز لنتيجته .

وعلى هذا فان حدوث أية معركة يتطلب حرصا شديدا وكان هذا سببا من أسباب قلق القبطان .. وكان من المسير الحصول على فون سبى فى تلك الرقعة الواسعة من المحيط ، فلربما شق طريقه عبر خليج « الهورن » عائدا الى بلاده عبر المحيط الاطلسى وربما قد قطع نصف المسافة فى رحلة العودة تلك حتى قبل أن تصدر الأوامر الى « ليوبارد » بالتحرك ، وربما يعود الى الشمال مرة ثانية ويستولى على قناة بنما ويكون هذا هو الدمار الحقيقى للقبطان سامارز .. وأدرك القبطان أنه فى حاجة الى كل ما لديه من فطنة وإدراك حتى يستطيع لقاء العدو .. وأدرك أيضا أن ما سيخذل اسمه بين الناس هو اغراق سفينة أو سفينتين المائيتين ، وحينئذ يحال الى التقاعد برتبة « أمير البحر » ويذكره الناس بأنه القبطان « سافيل سامارز » الذى قبض على فون سبى .

وتشاور مع قبطان بنزاس ، ولكنه احتفظ لنفسه بسلطة اتخاذ القرار النهائى .

ونظر الى الخريطة التى كانت تشير الى آخر مكان وصل اليه «فون سبى» وهو « فالبايزرو » وتفهم مختلف الخطوط البحرية »

وحاول أن يتقصص شخصية فون سبى ويفكر فيما كان سيفعله لو كان هو فى مكانه ، وألقى نظرة على آخر التقارير الواردة من العملاء السريين البريطانيين . لقد كان الفحم تحت تصرف الألمان فى مختلف موانئ أمريكا الجنوبية على المحيط الهادى ، وهذا يهيبء لفون سبى فرصة عظيمة للاتجاه شمالا عائدا الى بلاده . وكانت غرفة اللاسلكى بالسفينة « ليوبارد » تستقبل باستمرار برقيات عاجلة بشفرة غير مفهومة ، ويبدو أنها كانت تحمل تحذيرات لفون سبى من مطاردة سامارز له . وهذا يحمل على الاعتقاد بأن العملاء الألمان يرون أن السفن الألمانية قريبة من هذا المكان .

لقد حارب فون سبى فى « كورونيل » ، ودخل الى « فالباريزو » بسفينتين حربيتين فقط هما « شارنهورست » و « جنائزناو » ، وكان هذا مؤكدا . وعلى ذلك فإن سفينته الصغيرة تسيثن قد انفصلتا عن زميلاتها قبل موقعة كورونيل . فإين يمكن أن يكون قد بعث بها ؟ الى الشمال ؟ أن هذا غير محتمل . . أم الى الغرب الى المحيط الهندى ؟ فهذا هو أعلى الحقول جميعا ، لكن السفينة « إيمدن » كانت هناك من قبل وكان بمقدور الأسطول البريطانى مطاردة سفينتين بدلا من واحدة فضلا عن أن السفينة شريدس كانت تسير فى هذا الخط ولم ترسل أية اشارات تفيد بأنها التقت بسفن ألمانية ، رغم أن هذا فى حد ذاته ليس دليلا على أن تسيثن لم تسلك هذا الخط ذاته . . أم أنه قد بعث بها جنوبا الى نيوزيلنده أو أستراليا ؟ ربما فهذا أمر كبير الاحتمال ولكن الأمر حينئذ سيخرج عن اختصاص القبطان سامارز .

وافترض سامارز أن تسيثن لم ترسل الى أى مكان من هذه الامكنة ، وأنها لا تزال قريبة من الساحل الأمريكى ، مختبئة فى مكان ما . . ربما اصطدمت بشيء أو حدث بالاتها أى خلل . لقد كان أمرا غريبا حقا أنها لم تحارب فى كورونيل ولم يسمع بها بعد ذلك . والآن ، على افتراض أنها اصطدمت أو أنها فى حاجة الى اصلاح ، فإين يمكن لها ذلك ؟ لا شك أنها ستبحث عن مكان يمكن منه تبادل البرقيات اللاسلكية مع بنما . ونظر القبطان سامارز

الى الخريطة ، تماما كما فعل القبطان قون لوتز في الاسبوع الماضي
ووصل الى ذات النتيجة التي وصل اليها . فقد وجد أن سلسلة
جزر الجالاباغوس هي أصل موقع يمكن أن يتم فيه اصلاح
السفينة»

وبحث سامارز الأمر من كل وجهه فوجد أن بإمكان «ليوبارد»
و « بنزانس » أن تقطعا مساحات أكبر لو انفصلتا كل منهما عن
الأخرى .. ووجد أن بنزانس قادرة على حماية نفسها ، فأصدر
أوامره بذلك ، وبينما كانت السفينتان تشقان طريقهما جنوبا عبر
خليج بنما عرجت السفينة « بنزانس » قليلا تجاه الغرب .. وكان
البحار الأول البرت براون في هذه اللحظة في حالة ظمأ شديد
ولم تصبه رصاصة مولر الا في مساء ذلك اليوم ، في الوقت الذي
انحرفت فيه السفينتان كل عن الأخرى حتى اختفتا عن الأنظار»

الفصل السادس عشر

كتب نلسون ذات مرة يقول أن تخمس دقائق يمكن أن تكون سببا في الهزيمة أو النصر ، وهذا ما حدث بالنسبة لاكتشاف السفينة تسيثن ، إذ كان يمكن في غضون خمس دقائق فقط أن تختفى عن الأنظار دون أن يكتشف أمرها . فلو أنها غادرت جزيرة رزليوشن قبل مغادرتها لها بنصف ساعة فقط لعادت إلى بلادها سالمة ، ولتغير تاريخ العالم - بالنسبة للوزارة البريطانية على الأقل - .
أفحينما انفصلت « بنزانس » عن « ليوبارد » كى تتجه إلى جزيرة الجالاباغوس ، فإنها وصلت إلى جزيرة رزليوشن من الجهة الشمالية الشرقية ، وكانت تسيثن قد بدأت تشق طريقها في اتجاه الشمال الغربى لاركة الجزيرة . وفى اللحظة التى ظهرت فيها رزليوشن على مدى البصر لاحظ قبطان « بنزانس » أكرا متج الدخان على مدى الأفق الغربى . وكان الدخان ظاهرة غير مألوفة فى هذا الركن المهجور فى العالم ، فالتجهت « بنزانس » نحوه بسرعتها التى تبلغ سبعا وعشرين عقدة ، وفى غضون نصف ساعة فقط كانت صورة تسيثن قد اتضحت تماما ، واختلج الأثير بما راحت بنزانس تدبغه من معلومات .

ومبثا حاولت تسيثن أن تشوه رسائل بنزانس فقد كانت ليوبارد على مبعده مائة ميل فقط منها ، فضلا عن أن بنزانس كانت مجهزة بأحدث الآلات . وفى اللحظة التى التقطت فيها ليوبارد اشارات بنزانس ، شقت طريقها خلفها بأقصى سرعتها . وكان قبطان « بنزانس » على إدراك تام بواجبه ، فلم يشأ أن يتبادل إطلاق القذائف مع تسيثن فى الوقت الذى يدرك فيه أن هنالك بارجة من كبرى البوارج الحربية على مقربة منه وفى طريقها إليه .

ومستحتمل عنه عبء الاشتباك مع تسيثن دون أى خطر . وكانت
 تسيثن أكبر حجما من بنزانس ومزودة بأسلحة كفيفة بتخطيطها ،
 أما بنزانس فقد كانت تمتاز على تسيثن بسرعتها فقط ، فراحت
 تناورها ، محجمة عن الدخول فى معركة معها ، « وليوبارد » تشق
 طريقها إليها بمدافعها عيار اثنتى عشرة بوصة التى ستضع حدا
 للأمر . ولم يمر وقت طويل حتى تخلت تسيثن أيضا من فكرة
 محاربة بنزانس قاستدارت جنوبا مطلقة العنان لسرعتها أملا فى
 الهرب . . وتعقبته بنزانس ، فى الوقت الذى شعر فيه القبطان
 فون لوتز بطعم الهزيمة والفشل بكل ما فيهما من مرارة . . رجلا
 واحد هو سبب هذه الكارثة . . رجل واحد مسلح ببندقية بسيطة
 يكاد يلحق الدمار بتسيثن نتيجة لما فعله . . واستعاد القبطان فون
 لوتز ذكرى الأيام الثلاثة التى قضها على جزيرة رزليوشن . . ان
 تسيثن الآن على وشك الدمار الكامل ، وذلك لأن بحارا انجليزيا
 استطاع أن يؤخرها على الجزيرة لمدة ثمان وأربعين ساعة أكثر من
 المدة المطلوبة . . ولم يساوره الشك فى اقتراب نهايته ، فهو على
 علم بأن بارجتين حربيتين بريطانيتين قد عبرتا قناة بنما ، وهما هى
 البارجة الصغرى تتبعه وتناوره ، أما البارجة الكبرى فليست
 بعيدة عنه . . ولن تجد البارجة الكبرى ابة صعوبة فى اتمام العمل
 الذى بدأه البرت براون وقدم حياته ثمنا له . .

وحينما حل الليل كانت ليوبارد لم تظهر فى الأفق بعد . . وكان
 على تسيثن أن تتصدى لعمليات بنزانس اما بالهرب منها واما
 بالاقتراب منها وضربها . . لكن الليل كان صافيا ، وتفوقت
 بنزانس على تسيثن فى سرعتها تفوقا كبيرا . . وبعد ساعة من حلول
 الليل ارتفع القمر فى السماء . . وكان من اليسر على بنزانس أن
 تقتفى أثر تسيثن فى الظلام واستمرت المطاردة حتى منتصف
 الليل حيث حلت النجدة التى طال انتظارها . . فقد وصلت
 « ليوبارد » بمدافعها عيار اثنتى عشرة بوصة وسرعتها التى تبلغ
 اربعا وعشرين عقدة وتضاءلت فرص تسيثن المنكوبة فى الهرب . .

وانطلقت السفن الثلاث خلال الليل تشق طريقها فى المحيط الهادى متجهه نحو الجنوب . ولم يكن للامان اصداق فى هذه المنطقة وعلى بعد الفى ميل منها ، فادركوا الخطر العظيم المحقق بهم كانه الموت الزوعم ، غير أن ذلك لم يشبط من عزيمتهم فرغم أن كل رجل على ظهر السفينة كان يدرك أن فى أعقابهم بارجة حربية كبيرة وأن أية محاولة لمقاومتها ستكون بلا جدوى الا أن أى كلمة من الاستسلام لم تتردد بينهم ، ولم يكن أى واحد منهم يوافق على ذلك فلم يكن من صالح أسطولهم حديث العهد أن يقدم على مثل هذه الخطوة . . وعلى هذا فقد وجب على البحارة الالمانين أن يحاربوا حتى الموت ليصبحوا مثلاً يحتذى به اخوانهم وكان على أربعمائة رجل أن يستشهدوا من أجل ذلك ، حتى يسجل التاريخ انهم استشهدوا عن رضا وإيمان منهم .

ومع الخيوط الأولى للنهار اصدر القبطان سامارز اوامره بأن تقلل ليوبارد من سرعتها التى بلغت تسع عشرة عقدة والتى كانت تشق بها عباب البحر منذ ارتباطها بالسفينة بنزائس ، فقد وجد أنه من الأفضل أن يلحق بالسفينة تسين فى وضخ النهار . وحمل له البرق صدى مطاردته للسفينة الالمانية فى عرض البحر فقد كانت القيادة البحرية فى هوايتهول فى سرور عظيم للأنباء التى بلغتها بأن كتيبة المانية فى المحيط الهادى على وشك السقوط فى يد البحرية البريطانية . . وعند الفجر تلقى سامارز رداً على هذه الأنباء السارة ، فعلم أنه سينال الترقية التى طالما تمنّاها فى نهاية هذا العام اذا ما انجز المهمة المتوقعة منه انجازها .

وحيثما انتشر ضوء الصبح كان القبطان فون لوتز على ظهر سفينته وهو يشعر بأن أملة الأخير قد تلاشى . . وعلى مدى الاقرب البعيد استطاع بمنظاريه القويين أن يلمح هيكل البارجة الحربية الكبرى وتمثل له الموت فى ذلك الشيء الصغير الذى رآه خلال منظاريه لكنه وجد أنه لا تزال هناك فرصة لضرب إحدى السفينتين . واقتربت بنزائس من الجانب الأيمن للسفينة تسين ، فانهزت هذه الفرصة ، واطلقت قنابلها تجاهها ، لكن المدى كان بعيداً

سقطت القنابل في الماء على مبعده نصف ميل تقريبا من الهدف ،
فارتفعت بسببها اعمدة المياه فوق سطح البحر . وبعد خمس ثوان
تحولت بنزائس عن طريقها اثر اوامر مشددة صدرت اليها فراحت
تبتعد عن نقطة الخطر بأقصى سرعتها التي تبلغ سبع وعشرين عقدة
ركى تفسح الطريق أمام مدافع « ليوبارد » عيار الاثنى عشرة بوصة .

ووقف القبطان سامارز على ظهر ليوبارد ولمح السفينة تسيثن
وهي تنحرف شرقا في محاولة اخيرة لتشتيت الهدف بالنسبة
لرجال المدفعية الانجليز ، لكن ليوبارد أيضا انحرفت شرقا في
اتجاه مواز لاتجاه السفينة الألمانية . وكانت مدفعية ليوبارد تتكون
أساسا من ثمانية مدافع عيار اثنتى عشرة بوصة يبلغ مدى كل منها
ضعف مدى المدافع عيار الست بوصات وتزن قنابلها ثمانية أضعاف
القنابل التي تطلقها محدثة قدرا كبيرا من الدمار يبلغ أضعاف
ما تحدثه تلك المدافع عيار الست بوصات .

وانحرفت ليوبارد نحو اليسار بمقدار نقطتين كى تتمكن من
حصر تسيثن في مجال رؤيتها ثم استعادت طريقها الأصلي ، وبدأت
المعركة . . ومن كل مدفع انطلقت قنبلة محدثة دويا يصم الأذان
وانطلقت اثنتا عشرة قنبلة تقطع طريقها الذى يبلغ عشرة أميال
وتزن كل قنبلة نصف طن وتحتوى جميعها على متفجرات كافية
لتدمير مدينة لندن بأكملها . . وحلت النكبة بالسفينة تسيثن وهى
تقوم بمحاولتها البائسة الأخيرة لصد الهجوم .

وصاح قائد المدفعية وهو يرقب الموقف من برجه العلوى :

- قصروا المدى .. زيدوا الارتفاع الى مائتين ..

وأطلقت المدافع الأربعة الأخرى بدورها قنابلها وانطلقت في
الجو القنابل زنة النصف طن تقطع عشرة أميال في نصف دقيقة
وترتفع في الهواء بمقدار ميلين .

وصاح قائد المدفعية مرة ثانية :

- قصروا المدى ..

وارتفعت أعمدة الالاء هذه المرة بجوار تسيثن تماما .. وظلت القنابل تنطلق من المدافع التى يبلغ طول ماسورة كل منها خمسين قدما على مرات متتالية تفصل ما بين كل منها والاخرى فترة خمس وعشرين ثانية ..

وتوالت توجيهات قائد المدفعية :

- قف .. قصروا المدى .. اضربوا .. اضربوا .. اضربوا .. قف ..

وفى دقيقة ونصف دقيقة كانت تسيثن قد أصيبت بطن من القنابل المحتوية على طن من المتفجرات السريعة .. وتحطم سقفه السفينة المنكوبة والتوت الواحها المصنوعة من الصلب وتمزقت كأنها الواح من الورق فى يدى عملاق .. وانفجرت احدى القنابل فى قاعدة مدفع عيار ست بوصات على الجانب الايمن للسفينة فأطاحت ببجارتها ، وانقلب المدفع جانبا .. لكن السفينة كانت لا تزال بها حياة وكان العلم الالمانى لا يزال يرفرف عليها . واستدارت السفينة محاولة الاقتراب من العدو تماما كما حدث منذ خمسة ايام مضت حينما حاولت السفينة شرييدس الاقتراب منها .. لكن ليوبارد فعلت ما فعلته تسيثن حينئذ فقد كرت عائدة بأقصى سرعتها بحيث تظل تسيثن على مدى مرمى مدافعها . ولم تجسده نفعا محاولات تسيثن الخاسرة للاقتراب من ليوبارد بحيث تتمكن من اصابتها بمدافعها عيار الست بوصات .. وتوالت أوامر قائد المدفعية على السفينة ليوبارد :

- اضرب .. قف .. اضرب .. اضرب .. يا الهى !

واصابت القنابل السفينة بدمار عظيم فشهدها قائد المدفعية وهى تنهار بين الامواج وقد امتلا الجو بالدخان لكنها كانت لا تزال تتحرك وربما تطلق مدافعها مرة ثانية ، لكن قنبلتين انطلقتا من ليوبارد لتستقرا وسطها فتحطمانها تحطيمًا .. وانفجرت خزانات البوقود والمخار فى آن واحد محدثة انفجارا عظيما وتصاعدت لسانة اللهب وحجب الدخان كل شيء .. وحينما تلاشى الدخان بفعل

الهواء المتجدد ، لم يكن هناك شيء قط ، فقد لقيت تسيثن مصير
فيميلتيها « جود هوب ، مونماوث » نفس المصير الذى ينتظر كلا من
« شارنهورست ، ديفنس ، بلاك برنس » .

لقد فرق تسيثن بكل ما عليها تحت وابل القنابل .. اثنتا
عشرة قبلة أنهت الأمر فى أقل من خمس دقائق .. واختفى كل
من كانوا على ظهر السفينة وفيهم الأسيران الانجليزيان اللذان كان
على براون أن يعنى بهما لكن السفينتين الانجليزيتين لم تعلما
بوجودهما على ظهر السفينة .

وحمل الأثير أنباء هذا النصر العظيم وكان للقبطان سامارز
مطلق الحرية فى العودة الى انجلترا الى بحر الشمال الكثيف
الضباب كى ينتظر قدوم اليوم العظيم الذى يحصل فيه على ترقيته
وكما تنبأ سامارز من قبل فقد أصبح معروفا بالرجل « الذى أغرق
تسيثن » ولكن أحدا لم يكن ليعرف قط الى من يعود الفضل فى
تحطيمها .

« تمت »

الدار القومية للطباعة والنشر

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز النشر عام الثقافي

في العالم العربي
من القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية الكتاب الماسي

مذاهب ووثائق من الشرق والغرب كتب سياسية

كتب قومية في الحركة العالمية

اختراعات الجدي اختراعات للطالب

دراسات إنشائية رسائل مائة

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

الخطوط

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الإرشاد القومي

مجلة بنار الوطن

ARAB
OBSERVER

ARAB
OBSERVATOR

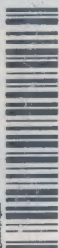
The Scribe
... ARAB REVIEW

Le Scribe
... REVUE ARABE

El Escriba
... REVISTA ARABE

Der Schreiber
... ARABISCHES KULTUR

912
17j



0540424